السنة العاشرة　العدد ١٤　١٥ تموز　سنة ١٩٠٧

المشرق

سيرة الحبر الطيّب الذكر

عبدالله قراعلي الماروني الحلبي

مؤسّس الرهبانيّة اللبنانيّة المارونية ومطران بيروت (١

كتبها تلميذه وخلفه في الرئاسة العامّة الأب توما البودي

ونشرها بالطبع لاوّل مرّة وعلّق حواشيها الاب انطون ربّاط اليسوعي

توْطئة

اورثنا الاب المذكور بالفضل والغيرة لويس كفاربوس ابوجي اليسوعي اوراقًا ونصوصًا كان استنسخها في رومية منذ نصف قرن منها هذه النبذة المفيدة في سيرة احد مشاهير الموارنة وهو الحبر المفضال عبدالله قراعلي المؤسس الاوَّل للرهبانية المارونية اللبنانيّة ورئيسها العام مدة ست عشرة سنة متوالية وقد سُقّف على مدينة بيروت فرعاها اربعًا وعشرين سنة بغيرة رسولية كما قام باعباء الرئاسة على الرهبان بتقوى وزهد وحكمة جعلته مثالًا حيًّا لمعاصريه الزاهدين ولمن حذا حذوهم. والنسخة التي بيدنا منقولة عن كتيّب من مكتبة المدرسة المارونية في رومية وهي تتعلق بسيرة هذا الاب الجليل وفضائله الرهبانية الى ان جُعل اسقفًا. وقد جاء في آخر نسختنا ما يلي: «هذا الجزء أُتجد في مكتبة مار انطونيوس الموارنة في رومية. وان اردت الباقي اسأل عنهُ في مكتبة لويزه. والله اعلم». فيا حبذا لو اطلعنا بعض العارفين على تتمتها لننشرها حفظًا للآثار التاريخية من

١) اطلب تاريخ الطائفة المارونية للبطريرك اسطفان الدويهي (٢٥٦ و ٢٦٣–٢٧٧) وتاريخ دير مار انطونيوس قزحيا للاب نعمة الله الكفري (المشرق ٤: ٢٦١) وسيرة المطران جرمانوس فرحات للقس جرجس منش (المشرق ٧: ٤٩ و١٠٥ و ٢١٠) وبرنامج اخوية القديس مارون لجناب يوسف افندي خطار غانم (١١٤–١٢٢) وكراسة المطران عبدالله قراعلي في تاريخ الرهبانية (نشر قسمًا منها الاديب رشيد افندي الشرتوني في سلسلة بطاركة الطائفة المارونية ١٨٢–١٩٥) الخ

الضياع . اما كاتبها او ممليها فهو القس توما اللبودي (والمحدثون يسمونه اللبودي) الحلبي تلميذ الاب عبدالله وصديقه وموضع سره وثقته ترهب في ١٠ آب سنة ١٧٠٦ كما جاء في النص وجمل سنين طويلة وكيلاً عاماً وتقلب في كثير من الوظائف وانتُخب رئيساً عاماً سنة ١٧٣٥ – وهو الخامس في العدد – وجدد لهُ الرهبان الرئاسة سنة ١٧٣٨ وكان وقتئذٍ في رومية يسعى باثبات المجمع اللبناني . وكانت وفاته عام ١٧٤٣ (١) وهي السنة التي فيها فاضت روح معلمه المطران عبدالله (٢) . قال الاب نعمة الله الكفري نقلاً عن المطران جرمانوس فرحات : « كان [القس توما] واسع العقل حسن الفطنة والمعاشرة فصيح اللسان » وقد خدم رهبانيته اجل الخدم واقتنى لها ارزاقاً تسهل على اخوانه الزهد بحاجات المعيشة ليكبوا على اعمال القداسة والبر (٣)

بسم الآب والابن والروح القدس الاله الواحد

نبتدي بعونه تعالى نكتب سيرة المثلث الرحمة الحبر النبيل سيدنا المطران عبد الله قراعلي (٤) الحلبي المؤسس الرهبنة اللبنانيَّة حسبما ارخها المرحوم القس توما البودي تلميذه الذي كان معاصرًا لهُ (٥)

فسيدنا وابونا عبدالله ولد في حلب من والدين مشهورين بالتقوى والسيرة الصالحة سنة ١٦٧٤ (٦) وكان اسم ابيه (٧) ميخائيل واسم والدته (٨) والمذكوران كانا موسرين بالمال والثروة الدنياوية (٩) ومشهورين بعمل الاحسان والعبادة فسمَّياه عبد الاحد وحين

---

١) كذا في مختصر تاريخ الرهبانية اللبنانية الذي الحقهُ رشيد افندي الشرتوني بتاريخ الدويهي (٣٧٢) . وفي بعض ما اطّلعنا عليهِ منقولاً عن سجلات الرهبانية انهُ توفي في دير رومية في ٨ شباط ١٧٦٨ ولهُ من العمر ٨٤ سنة وفي سجل دير مار اليشع ان الاب جبرائيل فرحات رئيس الدير البسهُ الاسكيم سنة ١٧٠٧ ولهُ من العمر عشرون سنة فيكون عمره عند موته نحواً من ٨١ او ٨٢ سنة

٢) في سجلات دير اللويزه عن سنة ١٧٤٢ ما يلي : « انتقل الى رحمة الله قدس سيدنا وابينا ومؤسس رهبنتنا اللبنانية المطران عبدالله قراعلي الحلبي المثلث بالرحمة في ٦ كانون الثاني سنة ١٧٤٢ ولهُ من العمر سبعون سنة . وكانت وفاته في زوق مصبح ودُفن في دير اللويزه »

٣) اطلب تاريخ الدويهي (٣٧٢) والمشرق (٤ : ٢٦٤ و ٢٦٧) وسلسلة البطاركة (١٨٩)

٤) كذا في الاصل وفي رسائل المعاصرين . وقد اعتاد المحدثون كتابته بالهمز قرألي وهي لفظة تركية معناها اليد السوداء (برنامج ١٢٢) وعندنا انهُ لقب علق بعائلة المترجَم المارونية كما علق غيره من الالقاب التركية بكثير من العائلات الحلبية

٥) هذان السطران للناسخ لا للمؤلف

٦) وفي البرنامج انهُ ولد في ٨ ايلول ١٦٧٢ فيكون عمره عند موته سبعون سنة كما سبق

٧) في الاصل « اباه » على انَّنا اصلحنا بعض الاغلاط النحوية تاركين الكلام على ما هو

٨) بياض في الاصل

٩) كتب المترجَم عن ذاته انهُ عندما اتى لبنان للترهب لم يكن يملك شيئاً من المال

انتشا وضعاه عند احد المعلمين الثقاة ليتعلم اللغة العربية والسريانية فاستدام على ذلك الى ان بلغ السنة الثانية عشرة من عمره . عند ذلك ابتدا ان يقرأ في كتب الآباء القديسين الزهاد من انطونيوس وجايه الى ان بلغ الاربعة عشرة سنة من عمره . فظهرت فيه حينئذٍ علائم الزهد والعبادة . فعينه ابوه ليتعلم الاعراب كالنحو والصرف (١ ورغب ابوه ان يعلمه ايضاً اللغة الايتاليانية رغبة في صناعة التجارة ومعاطاة البندر . لان والده كان يلحظ في هذا الفتى عقلاً ثاقباً وحشمة زائدة ولهُ قبول عند العال والدون . واماً عبد الاحد اي ابونا المشار اليه (٢ لما انتشا الى السنة السادسة عشرة من عمره فكان يتزايد فيه الشوق الى الطريقة الرهبانية وكان يفتكر سراً كيف يكون العمل لبلوغ قصده لان في مدينة حلب وبرّها لم يكن ديارة للرهبان انما الخبر الشائع ان في جبل لبنان موجود رهبان وديارة باسم ابينا انطونيوس . وعبد الاحد المشار اليه لم يرَ لهُ سبيلاً للتوجه الى تلك النواحي لان المسافة بعيدة أنوف من عشرة أيام ومع هذا لم يكن لهُ جراءة ان يكلم اباه وامه ويظهر لهم رغبته مع انهم كانوا ذوي صلاح . لان والده ما كان يمكن ان يطلقه الى بلاد مجهولة عندهم وهو بهذا السن . فاستدام عبد الاحد في رغبته هذه الّا انهُ تارةً كان يرتخي وتارةً يشتد في عزمه ورغب . وكان لهُ عشرةً من نسبته وخاصةً ثلاثة انفار منهم . الذين فيما بعد ترهبوا جملةً كما يأتي ذكر ذلك في محله

فدام هذا الفتى على هذه الحال الى ان بلغ من العمر ثمانية عشر سنة فباحكام الهية مرض مرضة ثقيلة وبعونهِ شفي منها وحين كان في الفراش وليس لهُ قوة على الخروج كان يقرأ كتباً روحية للتسلية كما سبق القول . وانتهى الى قراءة كتاب بستان الرهبان واكليمكوس (٣ وكان يتأمل سيرة الآباء مثل ابينا انطونيوس ومكاريوس وارسانيوس ومن ماثلهم فتحرك قلبه بحركة فاقت ما قبلها من الحركات وعزم العزم

---

١) واحصاه الاب لويس شيخو (المشرق ٦ : ٩٩) والقس جرجس منش (المشرق ٦ : ٧٧٤) في عداد من قرأ على الشيخ سليمان النحوي والخوري بطرس التولوي الماروني

٢) عبد الاحد اسمه في العماد وفي الخارج عبدالله فاذا رأيت الاسمين لا تعجب وانما المعروف عند العال والدون وفي الجبال وغيرها باسم عبد الله (للمؤلف)

٣) هو مار يوحنا السلمي صاحب سلّم الفضائل

الاكيد في ترك العالم والتجند الى حمل نير المسيح . فبعد شفائه من المرض رجع الى الاجتماع بعشرته وهم جبرائيل ابن توما حوا ويوسف ابن البتن وجبرائيل ابن فرحات (١ والمذكورون جميعهم كانت مذاكرتهم على الدوام في امور روحية وقراءة كتب القديسين ورغبة الزهد في العالم . مع انهُ ولا واحد منهم كان اطلع رفيقه على سريرته الروحيَّة الحقيقية

فحدث ان يوماً ما اضطرمت في قلب عبد الاحد نار حب الله واضناه الشوق الى الزهد في العالم وحمل نير الرب واتباع سيده ومع ذلك كان حائرًا كيف يكون العمل ليبلغ اربه لان بلادنا جميع حكامها غير مؤمنين باماننتا كما تفهمون ذلك فالتزم انهُ افشى بسرّه الى جبرائيل ابن توما حوا واخبره عن نيته وعزمه فرد لهُ الجواب اعني جبرائيل حوا بقوله لهُ هكذا : ان هذه هي نيتي ايضاً وان اردت نكون جملة . فتعاهدا بالقول . واما يوسف ابن البتن فعرف بالرمز نيتهما وعهدهما . وصار الرضا بينهما اعني جبرائيل وعبد الاحد بان كل واحد منهما يستأذن والده

فجبرائيل حوا اذن لهُ والده توما برغبته ومطاوبه واشار اليه بان يأخذ معه بضاعة ويمضي بها الى طرابلس لانها مينة جبة بشراي الموجود بها الكرسي البطريركي . ويومئذٍ كان البطرك اسطفانوس الدويهي من قرية اهدن وكان بالاصل نسيباً لبيت حوا . وكان كلام والده هكذا : انك تتوجه بعلة التجارة وتزور وتكشف تلك النواحي فان امكنك المكث واختبرت ذاتك بالثبات فلك ان تمكث لانك مطلوق الارادة . واوعده والده بانه يعينه مدى حياته . فاتى جبرائيل الى عبد الله واخبره بالذي صار وانهُ صار يتوجه كما ذكر اعلاه . فتشجع عبد الله اي عبد الاحد بالمشورة الى والده واظهر لهُ نيته وعزمه وان مراده يتوجه مع جبرائيل فمانعه والده لانهُ كان يراه رقيق الجسم . واولى بنا ان نقول ان الطبع كان متغلباً عليه في فرقة ولده . واذ رأى ذلك عبد الله ارتمى على اقدام والده باكياً . واقتصارنا يكفي لفهمكم . اخيرًا بعد اللجاجة الزائدة وعدهُ والده انهُ يرسلهُ يزور القدس الشريف على درب الشام وبعد زيارته يرجع على درب البحر ومن يافا ينتهي الى طرابلس ويزور الكرسي البطريركي وغيره من الديورة ويختبر ذاته هل لهُ قوَّة على سكنى البراري وما شاكلها

(١) اطلب ما ذكرناه من الكتب في الحاشية (ص ٦٢٥)

فتوجه جبرائيل حوا ومعه تجارته الى طرابلوس من غير ان احد يعرف سره ألّا والديه وكان خروجه سنة ١٦٩٣ في اول تشرين الاول. وثاني سنة اي سنة الف وستمائة واربع وتسعين خرج عبد الله من مدينة حلب برضى والديه الى زيارة القدس الشريف ومعهُ يوسف البتن ومن هناك جاء الى جبل لبنان مع يوسف المذكور وتواجها مع جبرائيل حوا (١ وتوجهوا جملةً الى دير قنوبين واخبروا السيد البطريرك بنيتهم فابتدا يهزأ بهم بقوله لهم: انكم انتم اناس ذوو تنعم ومعاش الجبال قشب والحروب في البلاد وسفك الدماء متصل هل يمكنكم احتمال هذا واكمال مطلوبكم والحال انكم عاجزون عن شغل الفلاحة والزراعة وانتم ناظرون معاش الرهبان وسيرتهم في هذه البلاد (٢. فاجابوه ان مرادهم ان يجمعوا قانونًا من رسوم الآباء انطونيوس وباسيليوس وغيرهم وينشئوا طريقة لهم ولغيرهم. فصفق البطريرك بيديه ضاحكًا ومستهزئًا بهم بقوله هكذا: الآن تحققت جنونكم. فثبت المشار اليهم على عزمهم وابتدأوا يترجون البطريرك بكل تواضع ومع هذا كانوا يعطون اشارات رغبتهم وجعلوا ان جبرائيل حوا الذي هو على القول انهُ نسيب البطريرك منذ القديم ان يخاطب البطريرك وحده عسى يعطف بخاطره الى الميل لمساعدتهم على اكمال مقصودهم لان بغير يد البطريرك لا يقدرون ان يبتدوا في الاعتناء بما هم راغبون. اخيرًا استمدوا خاطر البطريرك بواسطة البعض من مطارينه فانعطف الى مطاويهم بشرط ان يبتدوا بعمل ما يرغبون بحيث ان سكنتهم تكون مُرت مورا وهو مكان باسم دير خربان (٣ ورغبة البطريرك ان اذا صار

---

١) التقيا بجبرائيل حوا في زغرتا يوم خميس الجسد سنة ١٦٩٤

٢) كأني بالبطريرك الدويهي سبق فأنبأ بما سيحدث من الخلاف بين الحلبيين واللبنانيين الذي انتهى بانقسام الرهبانية الى شطرين. قال احد مؤرخي الرهبانية اللبنانية في كراسة خطية: «ان اخص اسباب هذه الاختلافات والفتنة هو اختلاف الطباع والعوائد من حيث ان الحلبيين كانوا غير معتادين على الاشغال المتعبة والمعيشة المتقشفة بل لهم التدبير. والبلديين بخلاف ذلك»

٣) كان الدير خرابًا يأوي اليه كاهن طاعن في السن يُسمّى انطونيوس — وجاء في تاريخ الدويهي (٣٥٦): «في سنة ١٦٩٥ في العاشر من تشرين الثاني لبس اسكيم الرهبانيَّة الثلاثة الذين قدموا من حلب وهم القس جبرائيل حوا والشماس عبدالله بن عبد الاحد ويوسف بن البتن فامرناهم ان يقيموا بدير مُرت مورا في اهدن» وجاء في البرنامج (١١٩): «وفي صيف سنة ١٦٩٥ قصد ابوا جبرائيل حوا دير قزحيا بعد ان زارا القدس والتمسا من السيد البطريرك

خير روحي واقل ما جدي من مداخيل اهلهم من حلب يكون في قرية اهدن لانها مولد البطريرك (كما ترون شرحه في تواريخ الرهبنة ٤) (١ لان الان غايتنا سيرة ابينا بوجه العموم

فنقول من بعد نشوءهم مُرت مورا ومار اليشع (٢ وتلك الخاصمات التي حدثت (٣ فاستمر عبد الله باقياً في دير مار اليشع وانشا الطريقة بسيرة الله . وهذا المغبوط ابتدا بالعمل قبل ان يعمل (والصواب : يعلّم) والانفار التي كانت عنده اولاً القس يوسف البتن الذكور انفاً . ثانياً الاخ موسى بلوزاني هذا ربي اكثر أيامه في حلب (٤ وباقي انفار سية عدلنا عن ذكرهم لئلا نطيل الشرح (٥ فابتدا في سيرة قشفة في جميع حركاته

اولاً كان عمل عرزال (٦ من عيدان حطب وقش وكان ينام عليه من غير فراش وكان يعقره ويوجعه كثيراً واستدام على هذا الحال سنتين . وغطاه كان بنوع انهُ يدفى

نسيبها ان يسم ولدها قسيساً بحضرتها ليفرحا به قبل افتراقهما عنهُ فاجاب ملتمسهما » . اما تسمية البطريرك الدويهي لقرالي عبد الله بن عبد الاحد فنظنهُ خطأ لان كلا الاسمين لمسمّى واحد

١) لا نعرف شيئاً عن هذا التاريخ ولعلهُ لا يزال محفوظاً في بعض الاديرة

٢) دير مار اليشع الذي في سفح الوادي المقدّس حذاء قرية بشرّاي وفي ١٤ ايلول سيم عبد الله كاهناً وأقيم رئيساً على هذا الدير . وقد انتخبوا جبرائيل حوا رئيساً عاماً عليهم في ١٠ تشرين الثاني سنة ١٦٩٥

٣) قد المح اليها صاحب النبذة وغيره من المؤرخين فعُزل جبرائيل حوا من الرئاسة العامة وخلفه المترجَم الذي صار المؤسس الاخص للرهبانية وسعى باثبات قانونها من الطيب الذكر البطريرك اسطفان الدويهي (١٨ حزيران ١٧٠٠)

٤) عند نسيبه المطران جبرائيل البلوزاني الذي اسس الرهبانية الانطونيانية سنة ١٧٠٠ وانتخب بطريركاً خلفاً للبطريرك اسطفان الدويهي . وقد ذكر المؤرخون هذين الراهبين في عداد الافاضل الذين تعطرت البلاد بعرف تقواهم

٥) هذه اسماء الرهبان الاولين نقلاً عن السجلّات : في ١ تموز ١٦٩٦ ألبس القس جبرائيل حوّاء الاسكيم اثنين من الشبان : الياس من حلب ويعقوب من غزير . وفي ١ حزيران ١٦٩٨ ألبسهُ حنا الباني ويعقوب الحلبي وعبدالله البشراني وموسى البلوزاني وجبرائيل فرحات الحلبي . وذلك في دير مرت مورا اهدن

٦) العرزال مقعد من عيدان مرتبطة بعضها ببعض يعلق بين اغصان دوحة ويفرش بالقش فيُنام عليهِ أيّام الصيف

لا غير. فلحقه اولئك السعداء ارفاقه كل منهم على قدر قوته حسب ما كان يرشدهم.
ثانيًا من حيث صلواته العقليَّة في اول مبتداه كان يصلي على بكرة ساعة وبعد صلوة السواعي نصف ساعة والمسا ساعة. واما هذيذه فكان متصلًا وامتثل بهِ جملة من رهبانه وفي كل ليلة كان تلاميذه يمضون ويكشفون لهُ افكارهم وما يعرض لهم من صالح وطالح وبعد ذلك كان يعطي لجسمه راحة في الرقاد وهو جالس الى نصف الليل. في البدء كان يسند ظهره الى الحيط قليلًا وفيما بعد امتنع عن السند على الحيط ومتى قرع الناقوس كان يسبق الجميع الى الكنيسة وقد اجتهد البعض من الرهبان ان يسبقوه الى الكنيسة فما امكنهم. وكان يبتدي الصلوة الفرضية بهدوٍ مرتلًا بنوع خشوعي والذي يحضر ويسمع الصلوات يتحرَّك قلبه الى العبادة طبعاً. وبعد خلوص صلوة الليل كان الرهبان تمضي الى مراقدها واماً هو فكان ينتصب في الصلوة في الكنيسة امام المذبح الى وقت صلاة الصبح وقتاً جاثياً ووقتاً واقفاً. بل قبل وقت صلوة الصبح بيرهة قليلة كان يخرج من الكنيسة لعمل واجبات الطبيعة وبعد ذلك يدخل الى قلايته التي كان لها بابان الواحد سري ومنهُ كان تدخل الرهبان لعنده لكشف افكارهم. وحين كان يقرع الناقوس لصلوة بكرة كان يخرج من باب قلايته الثاني المشاع لئلا احد يعرف عمله. واستمر على هذا العمل أنوف من سنتين من غير ان يعرف احد بهِ. ومن حيث نسكه فكل شيء يعرف انهُ يستلذ بهِ اذا اكله كان يمتنع عنهُ بافراز هذا مقداره حتى ان ما كان يقدر يكتمه وكان ياكل كل اربع وعشرين ساعة مرة في العشا وحين يكون في المائدة كان يبتدي الاكل قبل الكل وينتهي بعد الكل وكان حدّ اكله نصف الذي كان يوضع امام الرهبان من الاطعمة والخبز كان ياكل رغيفًا واحدًا وزن نصف اوقية واحيانًا يكسر من الثاني قليلًا والذي كان ينظر اليهِ يظن انهُ ياكل اكثر من الرهبان نظرًا الى ابتداه وانتهاه. ومن حيث ضنك جسمه يكفاكم هذا القول وهو ان ركبه كانت تكلكلت من ركوع المطانيات التي كان يستعملها في الكنيسة في الليالي. يشهد بذلك اصابعه التي كان يسند عليها في السجود والقيام التي تكلكلت ايضاً وربما البعض منكم لحظ ذلك فيه. وكان مجتهدًا على قمع جسمه وضبط حواسه بنوع الذي مثلي عاجز عن توضيحه لكم. وانما اقول واحدة وهي غيرته على حفظ الطهارة بنوع يفوق عقلي شرحه لكن يكفاكم واحدة

وهي الى اي حد وصل في الطهارة فاذا لحظتم في تفسير القانون الذي نسره (١ في درجات الطهارة فلحظكم قادر على ان يفهم من القليل كثيرًا لان ذلي عاجز عن برهان ذلك

فهذا المغبوط كان مفعمًا من الله حكمةً وافرازًا ونسكًا ذا عقل ثاقب وعلم راسخ فصيح اللسان بليغ المعاني محبوبًا من كل من يراه مهيبًا لان كل من كان يواجهه كان يعتبره اعتبارًا عظيمًا وكان يستهابه وكان يحس في ذاته خشوعًا وميلًا الى العبادة. والحال ان خلقته بالذات ما كانت جميلة لانه كان اسمر اللون رقيق الجسم بلحية خفيفة سوداء بوجه طويل انكش. بزيادة طويل القامة ممشوق يداه طوال رقيقتان طويل الانامل راسه كبير عيناه ناتئتان ذو جبهة عريضة معبس عبس فرح احتشامي دليل العبادة والخشوع ومع هذا لما كان يواجه احد حكام تلك البلاد المشهورين ابناء حماده... بما ان دير مار اليشع الذي هو مبدا الديورة كان في بلادهم فكانوا يغارون عليه وعلى الرهبان وعلى قيام القانون الذي انشاه عبد الله بزعمهم ان عبد الله الرئيس من اتقياء الله ورهبانه مثله ومهما كان يتكلم مع المشار اليهم يصدقونه ويعتبرونه بزعمهم ان هؤلاء الرهبان من زود تقاوتهم لم يتكلموا كذبًا ولا كلامًا واهيًا

فجميع ما ذكرنا الان قد تحققته من الرهبان الذين كانوا مترددين معهُ ومنهُ شيء قد تحققته بالنظر لما حصلتُ في الرهبنة ومنهُ نتجت ان الذي ذكروه لي هو قليل من كثير. فانا توما البودي المسكين بسيرتي الواهية دخلت الى الرهبنة في دير مار اليشع لاصير راهبًا فكان ابو الدير المذكور جبرائيل فرحات الحلبي المولد وفي الاصل بشراني (٢ وكان دخولي في الدير في عشرة ايام من شهر آب سنة ١٧٠٦ وابتديت في ١٤ من الشهر المذكور فابونا عبد الله ما كان حاضرًا بل كان في دير مار يوحنا رشميا الذي افتتحوه في تلك السنة جديدًا وبعد نحو شهرين توجه ابونا المشار اليه الى دير مار اليشع وحين وصوله وملاقاة الرهبان لهُ ومن جملتهم كنت انا فحقًا اقول يا ايها

---

١) يشير الى الكتاب المعنون « المصباح اللبناني » شرح فيه عبد الله قراعلي القانون
٢) وفي البرنامج انهُ حصروني الاصل

القارئ الحبيب اني من حين نظرته وقدمت في وقتي لاجثو امامه تحققت في سر يرتي ان الله عاطيه موهبة في معرفة الاشياء المغيبة عن غيره لانهُ حين نظر اليّ سأل الاخوة: من يكون هذا. فسموني لهُ. فقال لي دون غيري من المبتدئين الموجودين: اصحَ يا اخي توما واعرف الى اين جابك الله. فقد عرضت للقارئ بهاتين الكلمتين ليتحقّق ويصدق ما انا عتيد ان اكتبه من الآن فصاعدًا. وعلى كل حال مذموم الراهب الذي يفتخر بفضائل ابيه ومرشده ورئيسه واعمالهُ في الخلاف لكن الحق الصريح يجب ان يكتب لئلا تعدم معرفة الصالحين ويعدم الخير الذي يحصل عليه العباد من امثال سيرتهم الصالحة

وحال وصول ابينا المشار اليه الى الدير كان مريضًا مرضًا ثقيلًا حتى ان الرهبان سندوه في دخوله الى الدير. فأمرت انا من ابي الدير ان اعمل له عشا لان الرهبان كانوا تعشوا فكان عشاه من الرز بسمن ومع كل مرضه ما اراد ان يأكل كل الرز المذكور والحال كان الرز صحن من الصحون التي يوضع فيها اللون الواحد على المائدة وعدم اكله لانهُ رآه دسمًا وادامه وافرًا. ولكي يخفي ذلك عن الناظرين اشار ان ادامه كثير وقال: بانكم من هذا المبدإ لئلا يخرب الدير. وفي اليوم الثاني رجع الى عادته في الصيام انما على مقدار كم يوم كان يتغدى مع الرهبان. وحقًّا اقول انهُ كان يتغدى بالاسم. وبعده ابتدا بالصوم وارتدت لهُ عافيته بهذه الطريقة. وبما ان القس يوسف البتن هو الذي كان يخبرني عن سيرة ابينا المشار اليه فحين وجوده عندنا ابتدا يدلني عن افعاله الروحية السرّية وعلى جهاده نفسًا وجسمًا وابتديت ان اشاهد بعيني ما كنت قد أُخبرت عنهُ. وبعد نحو ستة اشهر توجه من دير مار اليشع الى دير رشميا. وفي تلك السنة افتتح دير اللويزة. والزمان الذي مكثهُ في دير مار اليشع كنت اتحايل جهدي لانظر عمله في الكنيسة في الليالي. فمن حيث انتصابه في الصلوة فكان يبان الناظر اليه كأنهُ صنم لا يتحرك وقتًا كان منكبًا على وجهه وحينًا كان يرش التراب والرماد على راسه. فهذه الاشياء وامثالها كان يستعملها بعد صلوة الليل في الكنيسة الى الصبح وما كان مطّلع على هذه الافعال الّا القس يوسف البتن وانا لله عبد بواسطته لان ابا الدير كان وضعني في وظيفة الكلارجية تحت يد القس يوسف المشار اليه والمذكور من محبته لي كان يطلعني على هذه الامور رغبةً في ان يرشد جبلي. وبعد كمال السنة

من تجربتي قبلت في الرهبنة ونذرت النذر الاحتفالي

ورجع ابونا المشار اليه الى دير مار اليشع وقطن فيه نحو سنة ونصف وكان يرشد لي ولغيري وانا لم ازل ارقب سيره من غير ان احد يعرف وعلى ما كنت اراه انهُ كان يزيد عمَّا ذكرت آنفاً . بل ابتدا يصوم يومين يومين وبما ان صيامه لم يمكن ان يخفى عن الناس فتغايرت الرهبان والكهنة على الصيام . فحين رأى غيرتهم امر البعض ان يصوموا الى التاسعة ويستعملوا في التاسعة اكلاً قليلاً بنوع فطور لكسر الصفرة ويتمشوا مع اخوتهم . والبعض كان يمنعهم عن الصيام وكل صباح يعطي موضوعاً روحياً عملياً لكل من الرهبان حسب مقدرته وموهبته والبعض كان يجمع اثنين اثنين بموضوع واحد ليذكروا بعضهم في نهارهم وعند المساء كانوا يعطون الحساب لهُ حسب الموضوع الذي كانوا اخذوه قبلاً بالتدقيق . وان احداً منهم ما اظهر كما يجب بسبب سهو ام نسيان كان هو يوضح لهُ الاشياء التي لم يوضحها . وفي ذلك الزمان كان موجوداً جملة مبتدئين والاكثر حلبيون (١) ونوع رشده كان لكل ذي قدر على موجب قدره بنوع يعجز ادراكي عن تفسيره . بل يكفي للقارئ واحدة على موجب فهمي وهي كما ان الرسل القديسين بعد حلول الروح القدس عليهم كانوا يعظون الناس بالعبراني والسامعين كل ذي لغة كان يفهم لغته منهم هكذا عبدالله كان يجلس ويجتمع عليهِ الرهبان في الاوقات المعيَّنة

---

١) امامنا لائحة طويلة تتضمَّن اسماء المبتدئين من الرهبان قبل القسمة وتاريخ قبولهم الاسكيم واعمارهم واصلهم ووطنهم في كثير من الاديرة كدير مار اليشع ودير مار يوحنا رشميا ودير مار بطرس بكفيا (الملقب بكريم التين) ودير مار الياس شويا الخ نبدي فيها نظراً لهُ اهمية تاريخية . وهو ان كثيراً من السريان والارمن والروم قد لبسوا الاسكيم في الرهبانية اللبنانية المارونية وهاك بعض الاسماء تثبت ما سبق : من الحلبيين الارمن لبس الاسكيم : بطرس الساعاتي . اسطفان . نتانائيل . فيانوس . يواكيم . يوسف دولاب . حنا كرابيد . كيرللس . المقدسي توما . جبرائيل بن اذناور . بولس بن صاهون . فيلبوس كركور . مبارك عجيمي . يوسف الصائغ . فرنسيس . الخ — من السريان الحلبيين : ميخائيل . عمانوئيل . ارسانيوس . اكليمنضوس . توما العاقل . مبارك اشتما الذي ترأس على دير مار الياس شويا (وهو من العائلات السريانية القديمة ويعرف الحلبيون حارة اشتما الى ايامنا) وغيرهم وكلهم ذكر اصلهم السرياني اوالارمني بعد اسمهم . ومن دمشق الشام ذكر نقولا الشامي ودانيال الشامي روم الاصل . ومن بيت لحم متى روم الاصل الخ . فتامل

فكانت مخاطبتهُ لهم فيما يختص الطريقة الرهبانية والسير في الطريق الرياضي لبلوغ الكمال عمَّا يخصّ كل واحد. ولمَّا كان احدهم يسألهُ سؤالًا عن شرح ما ذُكر. فاقول حقًّا من غير ارتياب انَّ من قبل شرحه وجوابه كان كل راهب يفهم من فمه ما يخصه حسب درجته ومعرفته واحتياجه. وسلوكه مع الرهبان كان بكل وداعة مع انهُ من ذات طبعه كان مسودنًا شرسًا عنيدًا برايه. لكن متى اكتشف على الحق كان يرجع ويقرّ معترفًا بكل تواضع لبّ. فمجمع المدبرين امرارًا عديدة حكموا عليه باشياء ضد سلطانه بالذات بزعمهم لخير الرهبنة وتدبيرهم في ذلك الوقت ومن جملة ما ذكر ثلاث مرات في مجامع مختلفة كان يحكم المجمع ان الاب العام ولا غيره من الرؤساء يقبل مبتدئًا. وسببه لان الديورة امتلت بل يسمحوا للاب العام ان يقبل مبتدئين حلبيين ام غيرهم الى حد خمسة انفار بشرط ان كل واحد منهم في الروحاني ام الجسداني يكون لهُ نفع بليغ للرهبنة. ومع ذلك كان يطأطئ لقولهم خاضعًا بكل سريرة مع انهم جميعهم تلاميذه وهو الذي نصب مجمع المدبرين فاستدام على هذه الطريقة الى ان خرج من دير مار اليشع الى زيارة الديورة (لها بقيَّة)

نقائض جرير والفرزدق (*)

للاب انطون صالحاني اليسوعي

اذا تصفحنا في كتاب الاغاني اخبار الشعراء الثلاثة المقدمين في صدر الاسلام الاخطل وجرير والفرزدق رأينا في ترجمة كل منهم الحكم لصاحبها بالسبق على معاصريه. مع انهُ لم يقع إجماع على احدهم انهُ افضل. ولكلّ واحدٍ منهم طبقة تفضّلهُ على الجماعة. قال ابو الفرج الاصبهاني في ترجمة جرير: هو والفرزدق والاخطل

(*) The Nakâ'id of Jarîr and al-Farazdak, edited by ANTHONY ASHLEY BEVAN M. A. Vol. I Part. I et 2, Leiden, Brill 1905.

المقدَّمون على شعراء الاسلام ويختلف في ايهم المتقدّم ولم يبقَ احد من شعراء عصرهم الَّا تعرّض لهم فافتضح وسقط وبقوا يتصاولون. على ان الاخطل انما دخل بين جرير والفرزدق في آخر امرهما وقد اسنَّ ونفد اكثر عمره . وهو وإن كان لهُ فضل وتقدّم فليس نجره من نجار هذين في شيء. الَّا انَّ صاحب الاغاني اورد في ترجمة الاخطل حكم يونس إذ سئل عن جرير والفرزدق والاخطل ايهم اشعر فاجاب: اجمعت العلماء على الاخطل. وهذا هو ايضاً حكم عمرو بن العلاء وابي عبيدة وسلمة بن عياش وغيرهم ممَّن يفصحون

فان طالعت اخبار جرير وجدتَ الحكم لهُ بانهُ اشعر الثلاثة. ومن يفضّلهُ يحتج بانهُ كان اكثرهم فنون شعر واسهلهم الفاظاً واقلّهم تكلّفاً وارقّهم نسيباً وانهُ غلب في الفخر والمديح والهجاء والنسيب

امَّا الفرزدق فقد قال عنهُ صاحب الاغاني ما نصُّهُ : هو وجرير والاخطل اشعر طبقات الاسلاميين والمقدَّم في الطبقة الاولى منهم. فترى انهُ فضلهُ على الجميع

وهذا يذكّرنا بخبرٍ يبيّن ما نجدهُ من الاختلاف وتناقض الاحكام في تفضيل هذا او ذاك من الشعراء. « انشد مروان بن ابي حفصة يوماً شعر زهير ثم قال: زهير والله اشعر الناس. ثم انشد للاعشى فقال: الاعشى اشعر الناس. ثم انشد شعراً لامرئ القيس فقال: امرؤ القيس من اشعر الناس. ثم قال: والناس اشعر الناس. اي ان اشعر الناس من انشدتَ لهُ فوجدته قد اجاد حتى ينتقل الى شعر غيره » (الاغاني)

وعندي ان الذي حدا بالبعض الى تفضيل وتقديم جرير والفرزدق هو ان الاخطل كان نصرانياً. ولاختلاف الاديان تأثير حقيقي في الاحكام. لكن لو طالعت قصائد الاخطل لتحققت ان لهُ نفساً عالياً وشرف منطق مع فخامة في المديح وجزالة وعظمة ترفع من يمدح بل تسكر كالخمر المعتقة التي يجيد نعتها. ولهُ نظر في الوصف مع قوة في التعبير تجعلهُ يصوّر بوجيز الكلام المناظر الطبيعية كما هي فيتخيَّل لك انك تشاهدها كما في البيت الذي يرينا فيهِ الأُتن الوحشية تشرب من مجرى المياه العذبة والحاظيا الى الغيضة حيث تخشى الصياد متواريًا يترصدها:

يشربنَ من باردٍ عذبٍ وأعينُها　　من حيث تخشَى ووارَى الراميَ الغيلُ

وللاخطل تفنّن في الهجاء مع سطوة وإقدام وطعن مؤلم خالٍ من الفحش الدني الذي اعتاده جرير والفرزدق. فيسقي عدوّه سمّا زعافا مدوفًا بماء الذهب. وناهيك عن رقة نسيبه الفتان فان مصدره القلب لا كنسيب جرير الصادر عن اللسان

ومهما كان الامر فلا خلاف في ان الثلاثة لهم الفضل على سائر الشعراء الذين نبغوا بعد الجاهليّة . فمطالعة قصائدهم تفيد جدًّا لمعرفة الشعر القديم وللتبحر في العربيّة

هذا وانّ آمن واحسن طريقة لنعلم ايهم فاز بقصب السبق هي مطالعة ومعارضة اشعارهم فان القدماء ممن حكموا بالفضل لهذا او لذاك لم تكن لديهم مجموعة دواوينهم لان مثل هذه النسخ كانت نادرة الوجود . فكانوا يحفظون قصائدهم وينشدونها وكانوا عند سماعهم بعض ابيات مستجادة يحكمون لصاحبها بالسبق. فاذا سمعوا ابياتًا حسنة لشاعر آخر حكموا له بالفضل

امّا الآن وقد اصبحت اشعارهم مطبوعة تتداولها ايدي الجميع فاضحى الانصاف في الحكم اسهل لانهُ يمكنّا ان ندعمه بالبينات والشواهد من مجموع القصائد لا من بيت او بيتين

فهذا ديوان الاخطل طُبع منذ ١٦ سنة بمطبعتنا الكاثوليكيّة بحرف جميل نظيف مضبوطًا بالشكل الكامل مع شرح وافٍ. وقد طُبع ايضًا ديوان جرير منذ ١٢ سنة بمصر لكن طبعًا سقيمًا بأحرف غير جلية وبدون شرح ولا شكل. مع انهُ يوجد في المكتبة الخديويّة نسخة خطية من ديوان جرير ونسخة خطية حديثة من نقائض جرير والفرزدق ضافيتا الشروح. فما كان اسهل على طابع اشعار جرير ان يعتمد على هاتين النسختين في تعليق الحواشي وضبط الابيات بالشكل. وطُبع ايضًا ديوان الفرزدق في اوربّة لكن معظمه طُبع بتصوير النور على طريقة تتعب نواظر القرّاء فتحار العيون بين هذه الاسطر الدقيقة المتقاربة والحركات المشتبكة فلا يلبث القارئ ان يطرح الكتاب جانبًا لما يلاقي من التعب في مطالعته

وعليهِ فقد تلقينا بالبهجة والثناء الهدية التي اتحفنا بها المسيو بريل الطبّاع الشهير الذي نشر بالطبع كتبًا عربيّة اكثر مما نشرت كلّ مطابع اوربّة . وقد طبع مؤخرًا نقائض جرير والفرزدق بقطع كبير (٣١ س × ٢٤ س) وهامش عريض مع سعة بين

السطر والسطر وبين الكلمة والكلمة فيرتاح القارئ في المطالعة وتنصرف عنايته الى درس وتفهم المعاني. وقد تولَّى نشر هذا الاثر الجليل العلّامة بيفن من اساتذة كلية كمبريدج في انكلترة فضبط بالشكل الكامل الابيات واختار لها حرفاً كبيرًا ممتازًا. واتبع كل بيت بالشروح وانتقى لهـا حرفاً اصغر. واثبت في آخر كل وجه الروايات المختلفة مع تعيين مصادرها. وقد نجز الى الآن جزءان من النقائض يحتويان معاً ٣٤٢ صفحة ما عدا مقدمة ذات ٢١ صفحـة كُتبت بالانكليزيَّة. فننتظر بفروغ صبر تكملة الكتاب

لا احد يجهل ان النقائض تحتوي اشهر بل عيون قصـائد جرير والفرزدق لان حياتهما انما فنيت في المنافسة والمعاداة والمناقضة. فالنقائض تمثل لنـا قسماً كبيرًا من ديواني هذين الشاعرين. وهكذا استعضنا عن طبعة ديوان جرير السقيمة وعن طبعـة ديوان الفرزدق العقيمة

اعتمد العلامة بيفن المدقق على ثلاث نسخ من النقائض محفوظة الاولى منها في مكتبة البودلية بكلية اكسفورد. والثانية في خزانة كتب المتحف البريطاني. والثالثة في كتبخانة كلية استراسبورغ. والحق يقال اننا قلّما رأينـا ديوان شعر محلى بشروح وافية كشرح نقائض جرير والفرزدق. فان الشارح لا يقتصر على تفسير المفردات بل كثيرًا ما يؤدي مجمل معنى البيت. وهـذا امر لا يقدم عليه الّا الشارح المتضلع. وممّا يجدر ذكره هو ان الشارح اتى بقصص بعض الحوادث وايام العرب التي ورد ذكرها في النقائض فوجدناها وافرة وافية

والنقائض هي رواية ابي عبد الله محمد بن العبـاس اليزيدي المتوفى سنة ٣١٠ للهجرة عن الحسن بن الحسين السكري المتوفى سنة ٢٧٥ هـ عن ابي جعفر محمد بن حبيب المتوفى سنة ٢٤٥ هـ عن ابي عبيدة مَعْمَر بن المُثنَّى التيمي المتوفى سنـة ٢٠٧ هـ (راجع اللسان ١٧ : ٢١٥)

وقد استعان ايضاً العلامة بيفن بكتب عديدة ذكر اساميهـا في المقدمة واقتبس منها افادات وروايات مختلفة. وكنّا نودّ لو اثبت بتصوير النور وجهاً من كل من النسخ الثلاث التي اعتمد عليها لنعلم حالتها من حيث الخط والحركات والقدم لان في مثـل

هذه الامور لمحة بصر الى النسخة الادابية تبقى اكثر بالمرغوب وتغني عن تفاصيل طويلة

هـذا وان النقائض تساعد على ايضاح بعض المشاكل التي تعترض في دواوين الاخطل وجرير والفرزدق. نبيّن ذلك ببعض الامثلة:

قال الاخطل في السطر ٨ من الصفحة ٢٢٩ من ديوانه:

بمَعرِضٍ او مُعَيدٍ او بني الخَطَفَى ترجو جريرٌ مساماتي واخطاري

فمن هذا البيت لا يعرف اذا كان المعرض والمعيد اسمي علم. وفي نسخة بغداد للاخطل (السطر ١٢ من الصفحة ١٣٧) ما يشير الى ان هذين الاسمين هما اسما علم. قال الشارح: «هؤلاء بنو كليب وأحدهم كان ضعيف العقل». وفي النسخة اليمنية (٢٩ السطر ٣) يروى: «بمعرضٍ او عُبَيْدٍ او بني الخَطَفى». اما نسخة النقائض فانها توضح وتحقق ان المعرض والمعيد هما شخصان بعينهما من بني الخطفى. قال غسّان ابن ذُهَيل السَّليطي (الصفحة ٧ السطر ٣) يعيّر جريرًا بضعف قومه في الحرب:

ستَعلمُ ما يغني مُعَيْدٌ ومُعرِضٌ اذا ما سَليطٌ غرَّقتك بحورُها

وفي الشرح: «مُعَيد جدّ جرير ابو امهِ وامّهُ امّ قيس بنت معيد بن عُثيم بن حارثة ابن عوف بن كليب ومعرض من اخواله وكان يُحمَّق»

المثل الثاني: قال الاخطل (١٩٣ السطر ٦):

ازبّ الحاجبين بعوفِ سوءٍ من الحيّ الذين على قنانِ

فنسخة بطرسبرج لم تفسّر ما هو قنان. وفي النسخة البغداديّة (ص ١٥٠ س ١٣) انهُ «جبل معروف». امّا نسخة النقائض فتصرّح (ص ٣٩ س ١١) بان «القنان جبل لبني قَعْس من بني اسد». وروت الساعدين عوض الحاجبين

وتفيدنا النقائض اصلاح بعض اغلاط في دواوين الاخطـل وجرير والفرزدق كما ان دواوينهم تعين على اصلاح بعض اغلاط في النقائض. مثلًا في هذا البيت (النسخة البغدادية ص ١٧٠ س ١٣ والنقائض ١٤٢ س ١١)

يومُ قضاعةَ مجدوعٌ معاطِسُها وهو اشمّ ترى في راسهِ صيدا

روت النقائض «يرمي» عوض «يوم» وهـذه الرواية هي الصحيحة. واكتفت

النسخة البغدادية بان قالت ان « هذا يوم المنافرة » . امَّا نسخة النقائض فانها اتت بقصَّة هذا اليوم في اربع صفحات. وهو يوم المنافرة بين جرير بن عبد الله البجليّ وخالد ابن ارطاة

وقد افادتنا ايضاً النقائض تحقيق واثبات مسألة حررناها في القسم الخامس من ديوان الاخطل المهيَّأ للطبع. وهي ان القطعتين المثبتتين في الصفحة ٢٧٥ و ٢٨٤ من ديوان الاخطل كانتا في الاصل قصيدة واحدة فقدت نسيبها ثم انشطرت قسمين بخطأ او جهل النساخ كما هي الآن. اراد الاخطل في هذه القصيدة هجاء جرير وتفضيل الفرزدق وقومه بني دارم على بني يربوع قوم جرير ولذلك رفع اولاً شأن الثعلبيين الذين كانوا اغاروا على بني يربوع يوم ذي بَيض او يوم الهضيبات (او الصهيبات كما في نسخة بغداد ص ٨١ س ٢) ثم مدح الدارميين لانهم انقذوا بني يربوع. وعليه يلزم تصحيح كلمتي التغلبيين والتغلبي (ص ٢٧٦ س ٢ و ٢٨٤ س ٦ و ٢٨٥ س ١) بكلمتي « الثعلبيين والثعلبي » لان الذين اغاروا على بني يربوع هم من بني شيبان بن ثعلبة. ولا يبعد ان يكون الاخطل عنى بالحية (ص ٢٨٥ س ٢) الحوفزانَ الحرث بن شريك رئيس القوم الذين كانوا اغاروا على بني يربوع واسرهُ حنظلةُ بن بشر احد الدارميين

وكانت النسخة البغدادية أيدت هذا التفسير اذ قالت (ص ٨١ س ٣) : « هذا يوم ذي بيض واغار الحوفزان الشيباني على بني يربوع فقطع منهم طرفاً فاتى الصريخ بني دارم فلحقوا الحوفزان واستنقذوا ما في يديه »

وقد حقَّقت النقائض (ص ٢٨٥ س ٧ و ص ٢٨٦ س ١٠ و ١٥) هذا الشرح بابيات قالها الفرزدق في نقيضة يهجو بها جريراً :

لو تعلمونَ غداةَ يُطرَدُ سبيُكمْ بالسفح بين مُلَيحةٍ وطِحالِ
والحوفزانُ مسوّمٌ افراسَهُ والمُحصَنات يجُلنَ كلَّ مجالِ
حتى تداركها فوارسُ مالكٍ ركضاً بكلّ طُوالةٍ وطُوالِ

وقال ابو عبيدة شارح النقائض « اغار الحوفزان بن شريك على بني يربوع بذي بَيض فسبى واخذ الاموال... قال واسر حنظلةُ بن بشر... بن دارم الحوفزانَ بن شريك ثم منَّ عليه بلا فداء وردَّ ما كان في يديه من المال على بني يربوع ». فهذا قول الاخطل :

م انقذوا يوم المُضيات سيكم وابناء رهط الكلب قُرعُ المباركِ
فررتم حذارَ الثلبين اذ سموا بأرعنَ طودٍ مشمخرِ الحواركِ

وهذا النزر يكفي

وقبل ان ننهي الكلام نرغب الى المسيو بريل ان يصلح او يبدل بعض الحروف التي يستعملها للطبع فان نقطها لا تكاد تظهر ولو استعنَّا بالجهر وذلك لدقتها. واصوقها بالحرف مثل نقطة الباء والجيم والضاد والغين. وهذا في كل صفحات الكتاب ولذلك تصعب القراءة وتفقد لذة المطالعة. ولنا الامل ان المسيو بريل يعير ملاحظتنا هذه اذنًا صاغية

فنمحض العلامة بيفن والمسيو بريل خالص شكرنا ونتمنَّى لهما اتمام العمل في الاجل القريب خدمة للعلماء والعلم

الاعتراف في اوائل النصرانيَّة

للاب يوسف خليل اليسوعي

اجتمعنا يومًا برهطٍ من الفضلاء فتجاذبنا اطراف الحديث في امور شتَّى حتى افضى بنا الكلام الى بعض عقائد الدين المسيحي فابدى لنا احد الحاضرين ما يخالجهُ من الشكّ ويعترضهُ من المرية في امر الاعتراف فقال: بلغني ممَّن يُوثَق برأيهم ويُسكَن الى علمهم انَّ لا أثر لهذا السرّ في اوائل النصرانيَّة وان الكنيسة لم تعلّمهُ ولم تعرفهُ في خلال القرون الاولى. انَّما اختلقهُ في الجيل الخامس او السادس اهل المآرب والغايات وتضافروا على نشرهِ بين السذَّج. وبعبارة اخرى: كل من حاول إثبات وجود هذا السرّ عند النصارى الاقدمين ورام الاستناد بذلك على نصوص آباء الكنيسة ومعلميها واترابهم في العصور الاولى يتحرَّى المحال فيُردُّ بالخيبة. ففي بادئ بدء لم نعجب من هذه المزاعم ولم نحفل بها لانها محض اكاذيب وترهات وقفنا عليها مرارًا في كتب الملحدين ودحضها عدد عديد من العلماء الاثبات انَّما:

لقد اسمعت لو ناديت حيًّا ولكن لا حياة لمن تنادي

فاجبنا في الحال بما رأيناهُ صوابًا وما انفرط عقد المجلس حتى لبَّينا اقتراح لفيف

المتحادثين بوضع مقالة نضمّنها شهادات راهنة تؤيد معتقدنا وتردّ بكيد كل مناقض مكابر . فتصفحنا التآليف العريقة بالقدم وكان اعتمادنا على اعمال الآباء القديسين تلك التي اجمع العلماء على صدقها وزلال موردها فتتبعناها في الستة الاجيال الاولى للنصرانيّة واقتطفنا منها ما وجدناهُ وافيًا بالمرام وقد اثبتناهُ بحرفهِ واشرنا الى صفحتهِ في المجلدات ليرجع اليهِ القارئ ويطالعهُ اذا رغب في مظنّتهِ . ويجدر بنا قبل المباشرة بإيراد هذه الشهادات ان نبيّن باختصار حقيقة رسم سرّ التوبة من لدنه تعالى فعليهِ بنى الآباء حججهم ولولاها لأضربوا عن هذا الموضوع

طالما جادت رحمة السيّد المسيح مدة حياتهِ على الارض بمغفرة الخطايا لمن تاب اليهِ فيها وكفّر عنها ولكنهُ لم يرتضِ بذلك بل انهُ وعد بطرس (متى ١٦ : ١٩) وجميع الرسل (متى ١٨ : ١٨) بسلطة الحلّ والربط ثم بعد انتصارهِ على الموت وخروجهِ من ظلام القبر تراءى لتلامذتهِ وقال : «السلام لكم . كما ارسلني الآب كذلك انا ارسلكم . . . خذوا الروح القدس . من غفرتم خطاياهم تُغفر لهم ومن امسكتم خطاياهم تُمسك لهم» . (يو ٢٠ : ٢١—٢٣) فخوّلهم بهذه الكلمات قدرةً ليكسروا نير الخطيئة ويردّوا الخراف الضالّة الى حظيرة الربّ ويستمطروا نِعم الله على ابناء عقّوا اباهم ثم ندموا على ما اقترفوه من الذنوب . ولم يستثنِ الخلاص الالهي خاطئًا او خطيئةً لان هذه العبارة : «من غفرتم خطاياهم تُغفر لهم» وفي اصلها اليوناني «ἀφιέναι τὰς ἁμαρτίας» تدفع كل حصر وتقييد فهي عامّة ومطلقة . فيتحتم القول اذًا بموجب معناها البديهي واصطلاح الكتاب المقدس بان الخاطئ اذا ما تأهّب لهذا السرّ وقبلهُ على شروطهِ حُلّ من وثاقهِ ونال عفوًا من الله ابيه . أجل ان طبيعتنا لا تسمو الى هذه السلطة ولهذا اذ لم يؤمن الفريسيون بالوهيّة السيد المسيح انكروا عليهِ كلامهُ للمخلّع : «يا رجل مغفورة لك خطاياك» قائلين : «من هذا الذي يتكلّم بالتجديف . من يقدر ان يغفر الخطايا الّا الله وحدهُ» (لوقا ٥ : ٢٠—٢١) . ولكن من لهُ ان يضع حدًّا لمواهب الرب وعطاياه . فانهُ يمنح ما يشاء لمن يشاء . وما لجبلتهِ الحقيرة الّا الاقرار بحكمتهِ وعدلهِ

واعلم ان سلطة الحلّ والربط دامت وستدوم في الكنيسة الى منتهى الاجيال لانّ الله لم يعطها فقط للرسل بل لخلفائهم الشرعيّين في اي زمان ومكان وُجدوا وإن

لم يصرّح الانجيل بذلك. قال الحواريون من سيّدهم هــذه السلطة كما نالوا سلطة تعليم البشر وغسلهم بمياه المعمودية واقامة سرّ الافخارستية وهذا كلهُ بقي وسيبقى في الكنيسة مع ان الكتاب المقدس لم ينبئنا شيئاً عن دوامهِ وانتقالهِ من الرسـل الى من قام مقامهم. فيجوز لنا والحالة هذه لا بل يجب علينا القول بأنهُ لم يُحرَم اخلاف تلامذة ابن الله من هذه السلطة لاسيما وان الداعي الى وجودهـا ما زال ولن يزال منبثًّا على الارض تتقاذفهُ القلوب والعقول والالسنة. فكم من الآثام والذنوب يرتكبها البشر كلَّ يومٍ فكرًا وقولًا وفعلًا. فلكل داء اذًا دواء ودواء الخطيئة سرّ التوبة

حسبنا الآن ما اشرنا اليهِ من رسم سرّ الاعتراف واعطاء سلطة الحلّ والربط الى الرسل وخلفائهم فبقي علينا ان نقوم بعبء ما تحرّينا ايضاحهُ ونُثبت استعمال التوبة في الاجيال الاولى من النصرانية ولذلك عُنينا بإيراد بعض شهادات الآباء والمؤرخين وبذكرها تتابعًا ليكون القارئ على بيّنةٍ بان هذا السر كان اوانئذٍ منتشرًا في العالم المسيحي لكنَّنا نستلفت لبهُ الى امرٍ وهو انهُ ندرت التآليف التي اتَّصلت الينـا من الجيل الاول بعد السيد المسيح فاذا ما استثنيتَ العهد الجديد فتكاد لا تجد كتابًا وُضع في الجيـل الاول تفسيرًا للدين المسيحي واثباتًا لعقائدهِ لكنها على توالي العصور توالت المصنَّفات وكثرت الشهـادات المؤيّدة لما نحن في صددهِ. فكفى بذلك تنبيهًا لكل مطالع لبيب

١ (الكنيسة السوريّة): نستهلّ كلامنا عن هذه الكنيسة الاثيلة والعريقة في القِدَم بذكر القديس العظيم اغناطيوس الانطاكي ذاك الذي هرق دمهُ شهادةً للحق وبرهانًا للدين في غرة القرن الثاني (١٠٧م) واليك ما كتبهُ في رسالتهِ الى اهـل فيلادلفية: «يغفر الله للتائبين اذا ما جاؤوا اليهِ ونالوا رضى الاسقف». فبرضى الاسقف او بمشورته كما قرأناهُ في نسخة ثانية اشارة واضحة لاسيما في أيام الاضطهاد الى حكم الاسقف وفتواه في الخطيئة ومن اقترفها (١) — وقد اشتهر امر رسـالة بُعثت الى يعقوب الاورشليمي وعُزيت الى اكليمنضوس الروماني لكنهُ ثبت الآن عند العلماء ان واضعها كان سوري الاصـل والمنشأ وعاش في الجيل الثاني. فوجدنا فيها ما يلي: «قال القديس بطرس: اني اعطي اكليمنضوس سلطة الحلّ والربط التي خولنيها السيد المسيح. فما

١) اطلب اعمال الاباء اليونانيين (ج ٥ ص٨٢٣)

يحكم بهِ على الارض يُحكم بهِ في السماء لانهُ يربط ما يجب ربطهُ ويحلّ ما يجب حلّهُ». ثم يعتم الكلام عن الاساقفة بقولهِ: «لهم السلطة بغلق ابواب السماء وبفتحها لانهم اصبحوا مفاتيح السماء» (١. وهوذا شهادة باهرة وبيّنة ساطعة نقتطفها من كتاب للقديس يوحنا فم الذهب في الكهنوت وشرفهِ. قال: «الكهنة هم أُناس يعيشون على وجه البسيطة... لكنهم كُلّفوا بتدبير الامور السماويّة وقد قلّدهم الله سلطةً لم يعطها الى الملائكة ورؤساء الملائكة لانهُ لم يقل لهم مثلما قال للكهنة: من غفرتم خطاياهم تُغفر لهم ومن امسكتم خطاياهم تُمسك لهم. اجل انَّ لحكام الدنيا سلطةً ليقيّدوا الاجساد ويكبّلوها بالحديد انَّما تلك السلطة التي يتكلّم عنها الانجيل تقع على النفس فتربطها. فمصدرها السماء وعلاقتها مع السماء ولهذا كل ما يحكم بهِ الكهنة يصادق عليهِ الله في السماء لان السيد يؤيّد حكم عبدهِ فلا حدَّ اذًا لسلطة الكهنة حتى في السماء بما ان الله قد قال: من غفرتم خطاياهم تُغفر لهم... اعطى الآب الازلي ابنهُ الحبيب كلَّ حكم وها اني ارى الابن يعطي الكهنة ما نالهُ من ابيهِ» (٢. ولم تضنّ علينا اعمال الآباء السوريين الموضوعة في اللغة السريانية بشهادات تُشير الى المعتقد الذي نبحث فيهِ. فقد اكتُشفت حديثًا تآليف القديس افراهاط الملقَّب بالحكيم الفارسي واليك ما وجدناهُ في عظة لهُ القاها سنة ٣٣٧ م في التوبة وقد عبَّر عمَّا يقصدهُ بتشبيهٍ لطيف. قال: «لكلِّ ألم دواء اذا اطّلع الطبيب النطاسي على حالة الداء. فلا يخجل اذًا من صرعهُ الشيطان من الاقرار بذنبهِ ومن العدول عنهُ واتخاذ الاعتراف دواء لهُ». وقال ايضًا: «الخاطئ هو من ضرَّجهُ جراحًا الضعفُ والتغافلُ في حرب قامت بها الاهواء عليهِ. فاذا رغب بالشفاء وباندمال جراحهِ فليعرضها على الطبيب الروحي وليتخذ ما يصفهُ لهُ من الادوية» (٣. وهذا ايضًا ما ذهب اليهِ القديس افرام العظيم في كتابهِ ضد المراطقة وآرائهم الفاسدة (٤

١) اعمال الاباء اليونانيين (ج ١ ص ٤٦٤ و ٤٧٨)
٢) اطلب اعمال الاباء اليونانيين (ج ٥٧ ص ٦٤٣)
٣) اطلب اعمال القديس افراهاط طبعة غرافين في باريس سنة ١٨٩٤ (المجلد الاول صفحة ٣١٣ و ٣١٥ و ٣١٨ و ٣٦٠)
٤) اطلب اعماله المطبوعة في رومة سنة ١٧٤٠ (ج ٣ ص ٤٤٠)

وكان بودّنا ان نذكر شيئاً من كتب العلماء المنفصلين عن الكنيسة الكاثوليكيّة كعبد يشوع والبطريرك ميخائيل الكبير وغيرهما فانها تؤيد ما نحن في صدده لكنّنا آلينا ألّا نتجاوز الجيل السادس منذ ابتداء النصرانيّة

٢ (كنيسة الاسكندريّة): توفي اكليمنضوس الاسكندري سنة ٢١٧ بعد ما قام بمهام كثيرة عُهدت اليهِ لانهُ كان ذا علم واسع وشهرة طائرة ورأي سديد. قال في بعض مؤلفاته: « من يقبل ملاك التوبة لا يأسف ابداً من عملهِ لاسيما عند ساعة الرحيل من هذه الدنيا ولا يخجل حينما يرى المخلص آتياً بجلالهِ وعظمتهِ » (١. اراد بملاك التوبة الاسقف او الكاهن المقام للنظر في امر الخطأة كما يظهر من قرينة كلامهِ. وكثيراً ما يدعو اكليمنضوس هذا السرّ « بالتوبة الثانية » (٢

وفي نحو سنة ٢٣٠ صنّف أوريجانوس الشهير كتاباً شرح فيهِ الصلاة الربيّة ولمّا وصل منها الى هذه الكلمات: « اغفر لنا ذنوبنا كما نغفر لمن اساء الينا » ذكر نصّ الكتاب المقدس في شأن الاعتراف ثم قال « ان الجحود بالدين وعبادة الاصنام والزنا خطايا جسيمة » . وابتدأ يقبح عمل: « الكهنة الذين » على زعمهِ « يتخذون سلطة تعلو مقامهم ويمنحون المغفرة لمن اقترف هذه الذنوب الثلاثة » (٣. فيتّضح من هذا القول ان الكهنة كانوا يقومون في ايامهِ بوظيفة الاعتراف ويحلّون من جميع الآثام حتى من الخطايا التي يرغب باستثنائها تبعاً لرأي المبتدعين. وقال ايضاً في عظتهِ ١٧: « اذا اقررنا بخطايانا ليس فقط لله تعالى لكن للذين لهم ان يداووا جراحنا وذنوبنا فان هذه الخطايا ستُغفر عند من قال: « سأزيل الخطايا كالغمام » (٤. وقد اخنى الزمان على كتب نفيسة فلم يبقَ من بعضها الّا اسماً ومن بعضها قسماً وبين هذه كتاب للقديس اثناسيوس (٣٧٥) دحض فيهِ هرطقة نوفاسيان ثبت منهُ فقرة: « من يعترف بذنبهِ في التوبة ينل المغفرة من لدن الكاهن بقوة نعمة المسيح » (٥. وكتب القديس كيرللوس

١) اطلب اعمال الاباء اليونانيين (ج ٩ ص ٦٤٩ و ٦٥٢)
٢) اطلب ايضاً (ج ٨ ص ٩٩٦)
٣) اطلب اعمال الاباء اليونانيين (ج ١١ ص ٥٢٨ و ٥٢٩)
٤) اطلب (ج ١٣ ص ١٨٤٦)
٥) اطلب اعمال الاباء اليونانيين (ج ٢٤ ص ١٣١٦)

في اوائل الجيل الرابع: «لاي سبب اعطى المخلّص تلامذتهُ سلطةً يخال انها حُفظت لله دون غيره ? لانهُ اراد ان يحلّوا ويربطوا الخطايا بعد قبولهم الروح القدس.. واما حلّهم للخطايا فانهُ يكون على طريقتين العماد والتوبة» (١

٣ (كنيسة القسطنطينيّة): اطلعنا المؤرخان سقراط وسوزومين عمّا كانت تجريهِ هذه الكنيسة في شأن سرّ التوبة. قال سقراط: «أُنيطت مهمّة الاعتراف بكاهن عُرف بالتُّقى والعلم واصابة الرأي وذلك على اثر بدعة نوڤاسيان» امّا سوزومين فانهُ يؤكد إقامة الكهنة لمنح سرّ التوبة قبل ذلك العهد وارتقاءها الى الاجيال الاولى للنصرانيَّة. قال: «وبما ان الاقرار بالخطايا جهاراً اضحى وقراً ثقيلاً على عاتق المسيحيين عيّن الاسقف كهنة فضلاء لاستماع الخطايا ولارشاد المذنبين والحكم عليهم وحلّهم من قيود الاثام بعد الحتم عليهم بأداء فرض التوبة ومزاولة الاعمال التكفيريَّة (٢

ولقد نهض عداة القديس يوحنا فم الذهب (٤٠٣) وزمّوهُ لانهُ قال في عظة: «اذا ارتكبتم الخطيئة فاندموا عليها وارجعوا اليَّ وانا اشفيكم». (٣ وبذلك بيّنة لما الفهُ لفيف المؤمنين في تلك العصور

٤ (كنائس اسية الصغرى): ليست شهادات معلمي هذه الكنائس باقلّ وضوحاً ممّا تقدّم لنا ايرادهُ. فلنثبت بعضها ليظهر جليًّا اتحاد آباء الكنيسة في تعاليمهم في ايّ مكان وزمان وُجدوا. كتب فرميليان اسقف قيصريّة قبادوقية المتوفَّى سنة ٢٥٢ رسالة الى القديس قبريانوس جاء فيها: «أعطيت سلطة حلّ الخطايا الى الرسل والى الكنائس التي أسسها الرسل ثم الى الذين خلفوا الرسل». (٤ وعُرف القديس باسيليوس بهمّتهِ القعساء فيما يختص باسرار الكنيسة واقبالها وحفظهِ على الدين بدون شائبة. وممّا قال في سر الاعتراف: «على الخاطئ ان يقرّ بذنوبهِ لمن كُلّف بتوزيع الاسرار». (٥ وللقديس غريغوريوس النزينزي عظة بليغة دحض فيها مزاعم الذين ينكرون على

١) اطلب اعمال الاباء اليونانيين (ج ٧٤ ص ٧٢١)
٢) اطلب اعمال الاباء اليونانيين (ج ٦٧ ص ٦١٣ - ٦١٧ و ١٤٥٧ - ١٤٦٠)
٣) اطلب المجامع طبعة هردوين (ج ١ ص ١٠٤٣)
٤) اطلب اعمال الاباء اللاتينيين (ج ٣ ص ١١٦٨)
٥) اطلب اعمال الاباء اليونانيين (ج ٣١ ص ١٢٨٤)

الكنيسة سلطة غفران الخطايا (١. وذكر القديس غريغوريوس النصيصي في رسالةٍ لهُ انهُ أُقيم في كل كنيسة كاهن لاستماع الاعتراف وللاقتصاص من الخطأة بمقتضى آثامهم (٢. وعاش هؤلاء الآباء في الجيل الرابع للمسيح

٥ (الكنيسة الايطاليّة): تأتينا بيّنة قديمة في سر التوبة من كتاب دُعي: «بالراعي هرماس» ووُضع في منتصف الجيل الثاني فهاكها: «قال لي الموكَّل على سر التوبة ان الرب الرحيم تحنَّن على خليقتهِ فرسم سر التوبة واقامني على توزيعهِ ولهذا.. اذا انقاد احد الى هواجس الشيطان وسقط في الخطيئة فليقتبل التوبة» (٣. لكن مؤلّف الكتاب المذكور اخطأ في ما زعمهُ بعد هذا ان من اقترف ذنبًا وتاب عنهُ ونال المغفرة في الاعتراف ثم تورَّط ثانيةً في وهدة المعاصي فلا تُغفر خطاياهُ ولا تُقبَل ندامتهُ. واننا نقرأ في قوانين هيبوليطوس وهي ترتقي الى اواخر الجيل الثاني او الى اوائل الجيل الثالث صلاةً تُتلى يوم سيامة الاسقف واليك بعضها: «امنحهُ يا رب درجة الاسقفيَّة واعطهِ روح الرحمة والسلطة حلّ الخطايا» (٤. وروي في كتاب «رسوم الرسل» ما نصّهُ: «امنحهُ ايها الرب القدير روحك القدوس لكي ينال سلطة حلّ الخطايا حسبما رسمت وامرت. خوِّلهُ القدرة ليفكّ اي رباط كان كما اعطيت الرسل». (٥ وقد نهض البابا كاليست في ابتداء الجيل الثالث وقاوم بدعة ماني وصرَّح بان كل الخطايا تُحلّ وتُغفر اللهمَّ اذا كان المذنب يندم عليها ويكفّر عنها (٦ وفي خلال سنة ٤٥٢ كتب البابا لاون الى تاودوروس اسقف فريجوس الاسطر التالية: «ان الرحمة الالهية ترأف بنا وتساعدنا في التكفير عن الذنوب حتى لا نيأس من الحياة الدائمة وذلك ليس فقط بواسطة العماد لكن ايضًا بقوة دواء التوبة. فإنْ دنَّس احدٌ نقاء عمادهِ فيمكنهُ ان ينال مغفرة خطاياه على شرط ان يحكم على نفسهِ ويقرّ بما فعل لانَّ الرب يعين البشر بواسطة تضرعات الكهنة لا غير. ان المسيح الوسيط بين الله والبشر اعطى رؤساء الكنيسة سلطة لمعاقبة الذنوب

١) اطلب اعمال الآباء اليونانيين (ج ٣٦ ص ٢٥٦ وما يتبعها)

٢) اطلب (ج ٤٥ ص ٢٢١ – ٢٢٢)

٣) اطلب اعمال الآباء اليونانيين (ج ٢ ص ٩١٤ – ٩١٩)

٤) اطلب كتاب الكاهن دوشان في مبادئ الرُتب (الطبعة ٢ ص ٥٠٦)

٥) اطلب اعمال الآباء اليونانيين (ج ١ ص ١٠٧٢)

٦) اطلب اعمال الآباء اللاتينيين (ج ٢ ص ٩٧٩)

ولادخال من يعترف بباب السلام وللاشتراك معهُ بالاسرار بعد ما يطهّر نفسهُ باعمال التكفير . . . . ويجب على الكاهن ان يضع وقر الخطايا عن منكبي الخاطئ ويردّ الابن الى ابيه قبل ان يداهمهُ الحِمام.» ١) وقال القديس هيرونيموس في رسالته الشهيرة الى هليودوروس : « بكلمة الاساقفة خلفاء الرسل يتكوّن جسد المسيح . فهم الذين صبغونا بماء العماد وجعلونا مسيحيين وبايديهم مفاتيح ملكوت السماوات فلهم ان يدينونا قبل يوم الدينونة العظيم.» ٢) واثبت القديس امبروسيوس : « ان الله وحدهُ يغفر الخطايا لكنهُ يغفرها بواسطة الذين اعطاهم القدرة لحلّها وغفرانها . . . ان الله اعطى الرسل سلطة مغفرة الذنوب ومن الرسل انتقلت هذه السلطة الى الكهنة دون سواهم . فبحقّ اذاً يطلبون الاستقلال بها وهي خاصتهم ليحلّوا الخطايا » ٣)

٦ (الكنيسة الافريقيّة) : يعلم كل مُطّلع على تاريخ الكنيسة وكل خبير بالحوادث الغابرة ضلال ترتليانوس في بعض عقائد الايمان منها انهُ لم يسلّم بمغفرة الخطايا الجسيمة فمن اقترفها كان لا محالة على زعمهِ من الهالكين ندم او اصرّ على ذنبهِ اعترف او لم يعترف . ولهذا قسم الخطايا الى ثلاثة اقسام خفيفة ومتوسطة وجسيمة فزعم انْ لا سلطة للكنيسة لتحلّ من جحد الايمان وارتكب ذنب الدعارة وهرق دماً زكياً لكنها تستطيع ان تغفر باقي الخطايا » ٤) . فمما تقدَّم يظهر ان ترتليانوس يقرّ بوجود سرّ التوبة ومغفرة الخطايا لكنَّهُ يستثني بعض آثام فظيعة لا تشملها على رأيهِ تلك السلطة التي اعطاها السيد المسيح للرسل ولخلفائهم . فناهضهُ لفيف الاباء ودحضوا مزاعمهُ . وفي اثناء سنة ٢٥٨ استشهد القديس قبريانوس وكان نور عصرهِ قداسةً وعلماً وقد عُرف بجزمهِ وعلوّ كلمتهِ فكثر عدد المؤمنين في زمانه في البلاد الافريقيّة . واليك بعض اقوالهِ في موضوعنا : « على كلّ ان يعترف بخطيئتهِ ما دام في قيد الحياة حيث تُقبَل توبتهُ واعمالهُ التكفيرية وتُمنح لهُ المغفرة بواسطة الكهنة . . . » ٥) واما القديس اغوسطينوس

١) اطلب اعمال الاباء اللاتينيين (ج ٥٤ ص ١٠١١ — ١٠١٣)
٢) اطلب اعمال الاباء اللاتينيين (ج ٢٢ ص ٣٥٢-٣٥٣)
٣) اطلب اعمال الاباء اللاتينيين (ج ١٥ ص ١٦٣٩ ج . ١٦ ص ٤٦٨ و٤٧٧ و٤٩٦)
٤) اطلب الاباء اللاتينيين (ج ٢ ص ٩٧٩ و١٠١٧ و١٠٢٤)
٥) اطلب اعمال الاباء اللاتينيين (ج ٤ ص ٤٨٩)

فانهُ اثبت سرّ الاعتراف في مواضع شتّى من تآليفهِ النفيسة نقتصر على ايراد النزر اليسير منها دفعاً للملل. قال في عظتهِ ٣٥١ : « فليذهب الى الاساقفة كل من اخطأ فانهم استلموا في الكنيسة سلطة المفاتيح » (١ . فعبّر بسلطة المفاتيح عن سلطة الحلّ والربط وقبول الخاطئ او ابعادهِ من الكنيسة . ولمّا زحف جيش الفندال قصدَ الاستيلاء على اقاليم افريقية الشماليّة وكان شعب الفندال معروفاً اوانئذٍ بشدة وطأتهِ فيسلب وينهب ولا يصون عرضاً . فهال الامر اهل البلاد ولاذوا بالفرار وكان بين من خاف فهرب بعض الكهنة فوبّخهم القديس اغوسطينوس على جبنهم وكتب بذلك رسالة بيّن فيها الخطر الذي يقع فيهِ اولئك « الذين يطلبون العماد او يتوبون الى الله ويرغبون بالتكفير عن خطاياهم ويسألون ان توزّع عليهم الاسرار . فاذا كان الكهنة لا يهبّون الى تحقيق امنيّة هؤلاء الخطأة فيفرّون هاربين فما اعظم شقاء الذين يخرجون من هذه الحياة بدون عماد وحلّ » (٢ وهو كلام صريح في سلطة الكهنة بمغفرة الخطايا

٧ (الكنيسة الاسبانيّة) : منذ عُقد مجمع « البيرة » سنة ٣٠٠ للمسيح وقرَّر اموراً شتّى تتعلّق بمنح سرّ التوبة تواترت الشهادات المثبتة لهذا السرّ وذلك دفعاً لبدعة نوفاسيان التي تسرّبت بين طبقات الشعب . فلمّا تفاقم الامر نهض القديس باسيان اسقف مدينة برشلونة المتوفّى سنة ٣٩١ وبعث برسالة الى احد المتمسكين باهداب هذه البدعة فقال فيها : « تدّعي بان الله وحدهُ يقدر ان يحلّ الخطايا ويغفرها فهذا عين الصواب غير انّ الله هو مصدر سلطة الكهنة فما يأتي بهِ هؤلاء في سرّ التوبة يُعزى اليهِ تعالى . وان كان الامر بخلاف ذلك فلايّ سبب قال الرب لرسلهِ : كل ما حللتموهُ على الارض يكون محلولاً في السماء . لماذا تلفّظ بهذه الكلمات اذا كان لا يسمح للبشر بالحلّ والربط ؟ أتزعم ان هذه السلطة لم تُمنح الّا للرسل ؟ فاذا كنت اصبتَ بقولك فالرسل فقط يقدرون دون غيرهم ايًّا كان ان يعمّدوا ويمنحوا الروح القدس ويبرّئوا الخطأة لان سلطة العماد ومنح الروح القدس وهلمّ جرًّا أُعطيت للرسل كما اعطيت لهم سلطة الحلّ والربط » . وهذا ضلال مبين (٣

١) اطلب اعمال الاباء اللاتينيين (ج ٣٩ ص ١٥٤٧)

٢) اطلب اعمال الاباء اللاتينيين (ج ٣٣ ص ١٠١٦ ج ٣٨ ص ٨٠٢)

٣) اطلب اعمال الآباء اللاتينيين (ج ١٣ ص ١٠٥٧)

٨ (الكنيسة الافرنسيَّة): يخبرنا القديس ايريناوس الذي سُقّف على مدينة ليون ومتعلّقاتها في اواخر الجيل الثاني «ان بعض النساء انقدنَ الى آراء الهراطقة ومشينَ على خطتهم وسلّمنَ بتعاليمهم ثم رجعنَ الى الصراط المستقيم وسألنَ التوبة عن خطيئتهنَّ واقررنَ بذنبهنَّ جهاراً فأُدرجنَ في عدد التائبين ونلنَ المغفرة». ولكن ممَّن قبلنَ الحلَّة؟ فلم يبح لنا بهِ القديس المذكور. وقال القديس هيلاريوس في شرحهِ لانجيل القديس متى: «ان السيد المسيح قلّد الرسل سلطةً لهم بها ان يربطوا البشر على الارض اعني بهِ ان يتركوهم في قيد الخطايا او يحلّوهم اعني بهِ ان يفتحوا لهم باب الخلاص او يمنحوهم المغفرة».(١ وقال جناديوس احد كهنة مدينة مرسيلية في الجيل الخامس: «من ارتكب خطيئة جسيمة بعد العماد فاني استحلفهُ ان يكفّر عنها جهاراً بالتوبة وبعد ما يقبل الحلَّة من الكاهن عليهِ ان يدخل في تعداد الذين يتناولون جسد الرب» (٢

نمسك اليراع عند هذا الحدّ هرباً من الإطالة ودفعاً للسآمة مع اننا لم نذكر الّا يسيراً من كثير لكن فيما اتينا بهِ كفافاً للمطالع وعبرةً للمستبصر فيتّضح لديه ان في تلك العصور القديمة عرفت الكنيسة سرَّ التوبة وحتمت على الخطأة من بنيها بالخضوع الى قوانينهِ وشروطهِ وان الآباء قد اجمعوا الكلمة على دحض اهل البدع كماني ونوفاسيان ومن حذا حذوهم لانهم رغبوا بوضع حدٍّ للسلطة التي اعطاها السيد المسيح لرسلهِ وخلفائهم. اجل اننا لا ننكر ان طريقة منح هذا السرّ في تلك الأيام تختلف بعض الاختلاف عمَّا يعهدهُ الآن الشعب المسيحي انَّما ذلك لا يتجاوز العوارض الخارجيَّة. فاذا كان الامر على هذه الحال اذا كان التاريخ شرقاً وغرباً يثبتهُ ويُفحم كل مقاوم وناكر فكيف يجسر البعض ويرمون الكلام على عواهنهِ ويرشقون بسهام الشكوى اساقفة وكهنة الجيل الخامس والسادس عازين اليهم الافتراء والتمويه والاختلاق؟ فاين بيّناتهم الساطعة وبراهينهم السديدة لنقابلها مع شهادات الآباء والمؤرخين منذ ابتداء الجيل الثاني وقد اقتبسناها واوردناها من مظانّها. فليوضحوا لنا ايضاً كيف اتفق ان النساطرة واليعاقبة وقد انفصلوا عن الكنيسة قبل الجيل السادس

١) اطلب اعمال الآباء اللاتينيين (ج ٩ ص ١٠٢١)
٢) اطلب (ج ٥٨ ص ٩٩٤)

اقرّوا بسرّ التوبة وحفظوهُ الى عهدنا هذا وجعلوهُ لهم حتماً لازباً . ولسنا بهذا القول نقرع من وقع في خلدهِ ريب في هذا المعتقد لكنهُ يجب على كل ذي عقل ألّا يدع الشك يتتابهُ بدون ان ينقب ويطالع ويسأل حتى يبني علمهُ على ركن متين لاسيما في امر ذي علاقة وثيقة المرى مع الحياة الآتية . نتوسل اليهِ تعالى ان يهدي عبادهُ الى الصراط المستقيم انهُ سميع وعليم

غرق بغداد

لحضرة الاب انستاس الكرملي

إذا جلتَ في العراق او ما جاورهُ من الآفاق واصغيت الى اقوال الناس لا تسمع منهم سوى حديث واحد هو حديث الغرق غرق بغداد . وقد اخذ الهلع من قلوبهم كل مأخذ إذ لا يعلمون اذا كانوا يموتون في هذه الساعة او بعد ساعات . او يكون ذلك نهارًا او ليلًا . وعلى كل فلا ترى احدًا قد طاب خاطرهُ او قرّ ناظرهُ في هذه الايام لمشاهدتهِ طغيان مياه دجلة وخروجها عن حدودها وسدودها وانفجارها الى السهول والزروع والبساتين المحيطة بالقراتين من الجانبين

وكل من رأى هذا المشهد البديع والرائع معاً يجب ان يقف على مثل هذا الحادث في سابق تاريخ بغداد ليقابل الحال بالحال وقد طلب مني بعض الاخوان ان ارصد مقالة في هذا البحث وان ادرجها في المشرق الاغر فلبّيت طلبهُ وكتبتُ هذه السطور

كان دجلة في سابق الزمان نهر يجري فيهِ كل خير وتنبع من مياههِ كل ثروة وكانت اراضيهِ مخزن الاطعمة لديار العراق وما جاورها من الاصقاع احتلّ سقيهُ الاقدمون من مشهوري الذكر وخامليهِ ومن معروفين ومجهولين من كلدان وبابليين واثوريين وفرس وپرثيين وساسانيين ويونان وغيرهم . وكان هذا النهر او كما يقول اهل العراق هذا الشط يفيض عليهم بكل بركة ونعمة . وما كان يضرّهم الّا نادرًا والنادر لا يدخل تحت حصر الحاصر . والسبب هو انهم كانوا قد شقّوا منهُ عدة انهر تتفرّع

منهُ فيدفع فيها دجلة مياههُ الزائدة فتفيد اراضي تلك الترع مما يفيض عليها من ذاك الماء المخلوط بالتراب الاحمر المخصب الذي يقوم للزرع مقام ماء وسماد فتريع تلك الارضون وتاتي بالمثل مائة مثل. وكان الاقدمون يكرون تلك القنوات يعني يحفرونها كل سنة عند نضوب مياهها لكي لا تدفن من الرمال المسحولة عقيق تلك الانهر والسواعد لانها تاتي بالويلات والمضرّات عوضاً من النعم والخيرات. وكل أمة قامت في هذه الديار او تغلبت عليها اتخذت هذه الوسائل المذكورة متسلّمة اياها الواحدة عن الاخرى. وهكذا فعل الخلفاء العباسيون في اول عهدهم بالخلافة فكانوا من المهتمين كل الاهتمام بمثل هذه الامور العظام. ولما اخذ ظلّ سطوتهم بالتقلّص مائلاً الى الزوال بدا اثر ذلك في جميع اعمالهم ومشاريعهم. ومن الجملة العدول عن اتخاذ الوسائط اللازمة لكري الانهر الفرعيّة وتنظيفها من الرمال التي تجرُّها المياه لاسيما مياه الفيض في فصل الربيع من السنة

واول ما جاء ذكر فيضان دجلة بعد بناء بغداد وتدفُّق مياههِ الى خارج حُدودهِ وعيثهِ بسهول بغداد ومنع المارّة من السفر في ارجائهِ كان في سنة ٢٢٠ هـ = ٨٣٦ م وذلك في شهر نيسان حينما كان المعتصم يُريد القاطول ويُريد البناء في سامرا فقد صرفهُ حينئذٍ عن قصدهِ كثرة زيادة دجلة فامتنع عن الحركة وانصرف الى بغداد الى الشماسيَّة حتَّى نزلت المياة الى مجاريها فعاد هو الى قضاء اعمالهِ. وعليهِ فلم يلحق دجلة ضرراً بالمدينة الزوراء (راجع تاريخ الطبري ٣: ١١٨٤)

وفي سنة ٢٣٥ هـ = ٨٤٩ م تغيَّر ماء دجلة تغيرًا على خلاف المألوف وهو يكون عند اقبال الفيضان أو إقبال الامراض الوافدة كالوباء والطاعون والهيضة وكان لون مائهِ الى الصفرة ففزع الناس لذلك وتطيّروا من هذا اللون المخيف ثم صار في لون ماء المدود وذلك في ذي الحجّة لكن العاقبة كانت محمودة وسكن جأش دجلة بدون ان يضرّ باحد (راجع الطبري ٣: ١٤٠٣)

وفي سنة ٣٦٨ هـ = ٩٧٨ م زاد دجلة زيادة مفرطة فغرق كثير من الجانب الشرقي والجانب الغربي واشرف الناس على الهلاك. » اه عن دائرة المعارف في مادة بغداد :

وفي سنة ٤٦٦ هـ = ١٠٧٣ م كان الغرق لزيادة دجلة زيادة مفرطة فغرق الجانب

الشرقي وبعض الغربي وكان السيل قد جاء في الليل وطفح الماء من البرية مع ريح شديدة ودخل من المنازل ونبع من البلاليع والآبار فهلك خلق كثير تحت الردم ودخل الماء من شبابيك البيمارستان العضدي. (عن دائرة المعارف)

وفي سنة ٥٠٢ هـ = ١١٠٨ م زاد زيادة مفرطة فاغرق الطرقات والغلات الشتوية والصيفية وغلت الاسعار. (عن الدائرة)

وفي سنة ٥٥٤=١١٥٩ «كثرت الزيادة في دجلة وخرج القورج (مجرى الماء) فوق بغداد فامتلأت الصحارى وخندق البلد ووقع بعض السور فغرق بعض القطيعة وباب الازج والمامونية. ودبَّ الماء تحت الارض الى اماكن فوقعت واخذ الناس يعبرون الى الجانب الغربي فبلغت المعبرة عدة دنانير ولم يكن يُقدَر عليها. ثم نقص الماء فكثر الخراب وبقيت المحالّ لا تعرف. وانما هي تلول فاخذ الناس حدودهم بالتخمين (عن ابي الفرج ص ٣٦٣)

وذكر هذه الزيادة صاحب الدائرة بقوله: وسنة ٥٥٤ هـ (وفي الاصل المطبوع ٤٥٧ وهو خطأ طبعي) كثرت الزيادة في دجلة فخرق السدود فوق بغداد واقبل المد الى المدينة فامتلأت الصحاري وخندق البلد وافسد الماء السور وخرقه وغرَّق اكثر من ١٥ محلّة ودخل الماء تحت الارض فهدم بيوتاً كثيرة. ثم تهدَّم السور وخربت المنازل وجُهلت المحال فكان الناس ياخذون حدودهم بالتخمين واما الجانب الغربي فغرقت فيه المقابر وانخسفت القبور المبنيَّة وطفا الموتى على وجه الماء فغرق المشهد والحربيَّة فكان من ذلك بلاء عظيم. اه

وفي سنة ٦١٤هـ = ١٢١٧ م زاد زيادة مفرطة لم يسبق لها نظير فقلق الناس اشدَّ القلق واجتمع الخليفة والوزراء والعامَّة على سدّ الثغور فغلبهم الماء ونبع من البلاليع والآبار وغرق مشهد ابي حنيفة وبعض الرصافة وجامع المهدي وقرية الملكية والكشك وانقطعت الصلاة بجامع السلطان. واما الجانب الغربي فتهدم فيه اكثر القرية ونهر عيسى والشطيات وخربت البساتين ومشهد باب التبن ومقبرة احمد بن حنبل والحريم الطاهري وبعض باب البصرة والدور التي على نهر عيسى واكثر محلّة قطفتا. وقد جرى اكثر من ذلك سنة ٧٢٥ هـ كما سيأتي في محلّه (عن الدائرة)

وفي سنة ٦٣٥هـ = ١٢٣٧ م حدث مدّ دجلة مدّاً عظيماً هائلاً وغرق دورٌ كثيرة

وغرق سفينتان فهلك فيهما نحو خمسين نسمة . (عن ابن العبري ص ٤٣٩)

وفي سنة ٦٥٤ هـ = ١٢٥٦ م « زاد الدجلة زيادة مهولة فغرق خلق كثير من اهل بغداد ومات خلق تحت الهدم وركب الناس في المراكب واستغاثوا بالله وعاينوا التلف ودخل الماء من اسوار البلد وانهدمت دار الوزير وثلثمائة وثمانون دارًا وانهدم مخزن الخليفة وهلك شيءٌ كثير من خزانة السلاح (انتهى بحرفهِ عن طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٥ : ١١٢)

ووصف رشيد الدين هذا الغرق وصفاً هذا بعض كلامهِ قال : « في اخر صيف سنة ٦٥٤ حدثت زيادة غير مالوفة فغرقت مدينة بغداد حتى ان الماء غطّى طبقة المنازل العليا . ودام الغرق في ذلك الصقع مدةً ٥٠ يوماً ثم اخذ الماء بالنضوب وبقي نصف ارض العراق غامرًا وحتى اليوم (اي الى يوم الكاتب المذكور) يضرب اهل بغداد المثل بغرق خلافة المستعصم . وفي اشتداد هول هذه الطّامة الكبرى كان الاجاجرة وهم من اراذل الناس واشقاهم يهجمون على اهل المدينة ويظلمونهم وياخذون اموالهم » . (انتهى معربًا عن الفارسيّة)

وفي سنة ٧٢٥ هـ = ١٣٢٤ م « غرق ماء دجلة ارض بغداد حتى صارت المدينة كالجزيرة وانحصرت الناس بها وخرب كثير من المحالّ في الجانبين . (عن الدائرة) . وفاق بكثير غرق سنة ٦١٤ و ٦٥٤

وفي سنة ٧٥٧ طغى طغيانًا فاحشًا فاخرب جانبًا عظيمًا من المدينة . وقد أرّخ هذا الحادث سلمان الساوجي ببيتين من الشعر الفارسي وهذا نصّهما :

بسال هفصد وپنجاه وهفت گشت خراب ... بآب شهر معظّم كه خاك بر سرآب
دريغ روضهٔ بغداد ان جنت آباد ... كه كرده است خرابش سپهر خانه خراب

ومعناها في سنة ٧٥٧ هـ = ١٣٥٦ م خرّب الماء المدينة المعظمة اتمّ خراب محق الله ذلك الماء . فوا أسفاه عليك يا بغداد يا روضة البلاد التي هدمت سماؤك ما هدمت وخربت ما خربت » . (عن كتاب گلشن خلفاء لمؤلفهِ مرتضى نظمي زاده ص ٩٤ و ٩٥ من نسختنا الخطيّة)

وفي سنة ١٠٦٧ هـ = ١٦٥٦ م امطرت السماء أمطارًا وابلة بل امطارًا طوفانيّة زادت مياه الفراتين بين دجلة والفرات واجتمعت مياهها في سهول العراق

فغطّت الارضين والزروع المجاورة لولاية بغداد كلها فاحدثت من الاضرار والتلف ما لا يصفهُ وصف كاتب مُجيد. وكان ما يحيط بالقلعة يُشبه بحرًا غطمطمًا في وسطهِ جزيرة محصّنة لا يقربها جندي باسل ولا يخرج منها احدٌ ولو كان من الصناديد الجبابرة وتدفق سيل الماء في خندق بغداد وكان يومئذٍ عميقًا على خلاف ما هو عليهِ اليوم وغدا « برج الفتح » (واسمهُ بالتركية فتح قلّه سي) وكان قريبًا من الباب الابيض نسيًا منسيًا او كأنهُ لم يكن شيئًا مبنيًا. وفي عدة مواطن تهدّمت الابراج وخربت الفصلان حول المدينة وانصدع السور في مواضع مختلفة. فبذل الوزير محمّد باشا الخاصكي الاصفر الرنّان والابيض الفتّان بسماحةٍ لا تضاهى لا بل وبذل من التعب والنصب ما حبّبهُ للناس كلهم اجمعين. وبعد الغرق اعاد بناء « برج الفتح » وسائر المواطن التي عبث بها الماء او اضرّها النزّ او أخربها عن اخرها. وقد أصلح او بنى كل ذلك على أُسس متينة وأركان حصينة حتى ان جميع الرازة (جميع راز وهو رئيس البنّائين) شهدوا لهُ بفضلهِ وحسن اعتنائهِ بالمباني وقد أرّخ اكبر شعراء بغداد يومئذ بناء ذلك البرج الضخم بقولهِ: « دوزدي برقلهٔ ممتازي محمّد باشا ». ومعناهُ: « أعاد بناء هذا البرج الممتاز محمّد باشا » ومجموع حروفهِ التركيّة تساوي ١٠٦٨ وهي سنة ترميم البرج المذكور وهي السنة الموافقة لسنة ١٦٥٧ او ١٦٥٨ م

وفي ذلك الاوان تضيّق الوزير نفسهُ من طغيان الرافدين والغرق الذي شمل انحاء المدينة فبرح المحلة المعروفة « بالمنطقة » وذهب فسكن قصرًا عامرًا كان واقعًا في غربيّ بغداد. وقبل ان يأخذ الفرات بالرجوع الى عقيتهِ بعد شرودهِ عنهُ وجد في تجوالهِ في عدة محلات من احياء المدينة مُندفقًا يدفع فيهِ مياههُ قريبًا من المنطقة. وللحال نشأت انهر سريعة الجري حالت دون تجوُّل الناس في حوالي دار السلام ولهذا انحصروا في دائرة ضيّقة النطاق لا يستطيعون ان يخرجوا منها ولا ان يرجعوا اليها ممن خرج منها قبل ازدياد المياه. فامر الحاكم ان تُلقى عدة جسور على تلك الانهار لتجمع بين المواضع والبيوت والمحلات القريبة. وفي بعض المواطن التزم الاهلون ان يتخذوا أكلاكًا (أطوافًا) وزوارق وقففًا وسفنًا ليعبروا من مكان الى مكان آخر

هذا وان الباشا افضت بهِ الحال الى ان يضرب خيمهُ في نفس ذلك الموضع وحشد هناك جمًا غفيرًا وسخرهم ليقيموا سدودًا محكمة عظيمة هائلة الكبر تمكّن

الناس من المسير والتجوال في اهمّ المواضع من المدينة . وكان الوزير نفسهُ قد دبَّر رسم هذه السدَّة كما انهُ قوَّى سائر السدود والمسنَّيات الموجودة في عدة مواضع واحكم بناءها . ولذا بقيت تلك الآثار مدة سنين طويلة تشهد على ما كان لذلك الوزير الهمام والسيّد المقدام من الايادي البيضاء على مدينتنا الزوراء

زراعة قصب السكر

للشاب الاديب ميشال افندي الياس سماحة

ممّا لا يختلف في شأنهِ اثنان ان على الزراعة تتوقف حياة البلاد وعلى نموها تترتَّب سعادة الاهلين وازدياد الثروة والتقدم والعمران . واي ارض حلّها الخصب خفقت فوقها أعلام الرفاء واليسر والهناء والبشر . قال ابن حزم الاندلسي: « اعلموا ان الراحة واللذة والسلامة والعز والاجر في اصحاب فلاحة الاراضي وفلاحة الاراضي اهنأ المكاسب جملةً » . ويُروى انه قيل لابي هريرة: ما المروءة . فقال: تقوى الله واصلاح الضيعة . ولا يخفى ما في هذه الاقوال من المعاني الجليلة والتعابير البليغة . ومن اقوال الدكتور فيجري بك الكيماوي الشهير في كتابهِ علم الزراعة ما يأتي: « ان الزراعة متى جعل لها نجاح وتقدُّم اتسع بها نطاق التجارة فتستمتع جميع الناس بذلك وتتقوى الصناعات الاخرى فلا يحصل تقدُّم في التجارة كما ينبغي الّا اذا اتقن فنّ الزراعة» . وهو قول يشير الى ان الزراعة هي المصدر الباعث للعمران والترقي فعلى المحصولات الزراعية تقوم في كل واد دولاب الاعمال في المعامل والدور الصناعية . ولذا قد شبَّه الاقدمون تربة الاراضي الزراعية الخصبة بالتبر وعنوا عن طينها بالذهب الابريز وعن سمائها بالساعثة للخيرات والجائدة بالنعيم والبركات الى غير ذلك من الاسماء والنعوت الحسان

هذا ولمَّا كان على الزراعة قيام الحياة والمعيشة لكل انسان . وبدونها ضياع وهلاك كل حيوان فلذلك لا تزال كما كانت منذ القدم موضوع اهتمام الشعوب والامم ومحور الاختبار والعمل والدرس لكثيرين من العلماء المبرزين الذين قد اتقنوا فنونها واضافوا الى دروسها جملة من العلوم كعلم الفيسيولوجيا والنباتية وعلم الحيوان وعلم الميخانيكا

وتحريك الاثقال وعلم الكيمياء. الى غير ذلك مما يُدرس الان في المدارس المختصة بفن الزراعة

٦ كلمة في الزراعة

اعتاد مزارعو بلادنا على استغلال الحرير والحنطة والخمر وبعض محاصيل أُخرى قد ألفوا زراعتها واستنباتها. غير ان لزراعة التوت النصيب الاوفر في اعمالهم لان التوت يشغل الجزء الاكبر من اراضينا الزراعيَّة سواء كان في السواحل والاساكل البحريَّة او في السهول الداخليَّة كما في اعالي الجبال. وللبلاد من زراعة هذا الصنف محصول عظيم تقوم على موسمهِ حركة التجارة والاشغال ويدور على فوائدهِ دولاب الصناعة والاعمال. ويرى البعض ان لشططاً في انقطاع المزارعين عندنا على زراعة هذا الصنف بتخصيص الجزء الاكبر من الاراضي الزراعيَّة في استنباتهِ لانهُ كثيرًا ما تفاجئ مواسمهُ الطوارئ السيئة والآفات الرديئة فتقضي عليها بالتلف والعدم فالواجب على اهل الاملاك أن لا يقصروا نظرهم على صنف واحد بل يخصُّوا قسماً من الاراضي لاجل درسها واختبار الاصناف المناسبة مع جلب البزور الحسنة وانتخاب الانواع الجيدة. ولست اشير بذلك الى ابطال زراعة التوت من البلاد او الى تفضيل سواها عليها من المحاصيل الاخرى والتي يجهل مزارعو بلادنا امرها تماماً. بل جلُّ ما ارمي اليه هو الاشارة الى بذل شيء في نفع العموم وصالح الكل ووجوب عمل التجربة والامتحان في الاراضي رغبة في ادراك الافضل والاحسن. واستجلاب المفيد والانفع سيما وانا نرى ان في سواحل سوريَّة وفي داخليَّة البلاد سهولاً واسعة واراضي جيدة مخصبة يحسن زراعتها باصناف عديدة ويسهل اعادة اختبارها لاخراج احسن المحاصيل. حدثني في المدَّة الاخيرة شخصٌ عالم بالاصول الزراعيَّة لاسيما باصول بلادنا الاقتصاديَّة قال: يوجد في سوريَّة اراض كثيرة تناسب وتصلح لزراعة محاصيل جمة مجهولة لدينا. وخصَّ بقولهِ السكر زاعماً ان زراعة هذا النبات تجود عندنا كثيرًا خصوصاً في السواحل وعلى الشطوط البحرية حيث نشاهد لهذا النبات عند البعض زراعة حسنة نامية. فاذا غرس عندنا هذا الصنف في الاراضي الجيدة وعلى حسب الاصول الزراعيَّة وقُدمت لهُ الخدمة اللازمة مع وجود الادوات النافعة لتكرير عصارتهِ لا بُدَّ ان يعود على البلاد بمحصول وافر ودخل عظيم

٢ً منشأ قصب السكر

هو من الفصيلة المعروفة في علم الطبيعة بالنجيليّـة (graminées) من صنف النباتات السكرية وقد سمي بقصب السكر للدلالة على شكلهِ ومعناه. فهو يماثل بطول ساقهِ وعقدهِ القصب والخيزران (jonc) والخيزران الهندي (bambou) وغير ذلك مما هو على صورتهِ من علم النبـات. وقد أُضيف الى السكّر لما يحتوي من المادة السكرية التي تُستقطَر منهُ. وجذور قصب السكّر ليفيَّة تنقسم الى عُقد ويبلغ ارتفاع القصبة من ثلاثة الى اربعة امتار واوراقهُ مغمدة على شكل الحراب تتقارب او تتبـاعد على اختلاف وضع العقد في قربها وبعدها ولهذا القصب ازهار كالسنبلة لينة الملمس بيضاء اللون. ومما رواه ابن بيطـار في مفرداتهِ (٢ : ٢٢) عن انواعهِ قال: «قصب السكّر انواع فمنهُ ابيض ومنهُ اصفر ومنهُ اسود والاسود لا يُعصر وهو يغلظ ويعبل حتى لا تحيط بهِ الكفَّان وانما يُعتصر الابيض والاصفر ويقال لعصارتهِ عسل القصب واجوده ما يُجاء به من ارض الزنج اصفر مثل الاترج والقند ما يجمد من عصر قصب السكر ثم يتخذ منهُ السكر ويقال لما جُعل فيه القند من السويق وغيره مقنود ومقند كما يقـال معسول ومعسَّل». وقال دواد الانطاكي في التذكرة (١ : ٣٦٣): «قصب السكّر اجودهُ المصري فالهندي الغليظ الغض الكثير الماء الصادق الحلاوة الطويل العقد». ويذهب المؤرخون ان منشأ زراعة هذا الصنف كان قديمًا في افريقية وفي بلاد الهند. وفي الجيل الثالث من التاريخ المسيحي نقلهُ العرب الى بلادهم وقد ذكرهُ نصري خسرو في رحلتهِ الى الشام في القرن الحادي عشر (ص ١٢) قال انهُ وجد مزارعهُ في طرابلس. ولم تدخل زراعة قصب السكر الى اوروبة حتى اوائل القرن العاشر وقد كان ذلك بفضل العرب الذين نقلوا ايضًا اذ ذاك الى عالم الافرنج شيئًا من علومهم ومعارفهم الصناعيَّة والزراعيَّة. وروى بعضهم ان زراعة قصب السكر قد دخلت اوربَّة في الجيل الثاني عشر بواسطة الصليبيين

فمن جزيرة قبرص نقلت فسائل هذا النبات الى جزيرة صقليَّة ثم الى اسبانيـة وفي علم ١٥٢٠ سعى الاسبان بنقل زراعة قصب السكر الى جزيرة ماديرة (Madère) ثم الى مستعمراتهم الافريقيَّة في جزائر كاناري فنما هنالك نموًّا حسنًا وتوفَّرت محصولاتهُ

ثم سعى الاسبان والبرتغاليون بعد افتتاح اميركة فادخلوا زراعة هذا الصنف الى مستعمراتهم ونشروها في اكثر البلاد التي فتحوها . فعمّت اذ ذاك هذه الزراعة جميع الجزائر والنواحي ولاسيما جزائر الارخبيل الانتيلي وتقدّمت في تلك البلاد تقدماً عجيباً خصوصاً في جزيرة سان دمنجو التابعة للدومنيك ولهذه الجزيرة شهرة واسعة بحسن زراعتها ووفرة محصولها من قصب السكر . ويزرع هذا النبات ايضاً في بلاد المكسيك والبرازيل وفي شمالي اميركة وكذلك في شمالي الهند وفي جزائرها الغربيّة وفي الصين واليابان وفي جزيرة مدغسكر وجزائر صندويتش وفي جزائر فيجي الانكليزية وفي جزائر سولڤان الافرنسيّة وفي جزيرة جاوة الهولندية وفي سهول افغانستان وفي بلاد العرب وبلاد مصر لاسيما الصعيد ويزرع ايضاً قصب السكر في جهات مختلفة في سواحل بلاد اليونان ومقدونية وبر الاناضول وبر الشام الى غير ذلك

٣ اصول زراعتهِ

تنمو زراعة قصب السكر في البلاد الحارّة اكثر ممَّا في خلافها غير انَّ اكثر نموهِ في تلك المناطق قد يكون برّيًا وعلى حالتهِ الفطرية . والمألوف في زراعة هذا النبات انهُ ينمو على الشواطئ البحرية خصوصاً في الجزر . واحسن الاجناس ما كان اصل فسائلهِ من جزيرة سان دمنجو او من بلاد الفلمنك ويقال ان المصريين استجلبوا من تلك البلاد اصناف التقاوي التي تزرع الان في مصر . واذا وافى زمن النضج ظهر في اعلى ساق هذا النبات زهر وبزر صغير ويندر ظهور مثل ذلك في زراعة القصب البستاني ومع هذا قلَّما يعتني المزارعون في توليد السكر من بذره بل من الفسائل والعقل . ويذهب البعض الى ان اهمال توليد هذا النبات من بزره وتكرار زراعتهِ من الفسائل والعقل قد اضعف بزرهُ جدًا حتى لم يعد يتولد منهُ . غير انهُ يؤخذ من الاخبار الاخيرة ان بعض العلماء من الباحثين في تحسين زراعة هذا النبات قد توفَّقوا الى وجود نوع جديد من قصب السكر استنبتوه من بزرهِ وهم يزعمون ان محصول زراعة الصنف الجديد يزيد ٢٥ في المائة على محصول الزراعة المعتادة

وتبتدئ زراعة قصب السكر في اوائل الفصل الربيع وهو يجود الّا في الاراضي الجيدة المخصبة القريبة من المياه فتحرث اولًا الاراضي على شكل مربعات او على هيئة

خطوط تكون المسافة بين كل خط وآخر نصف متر على الاقل ثم تُقطع العيدان قِطَعاً متوازية· وهم ياخذون من كل عود ثلاث او اربع فسائل تعرف عند المزارعين بالعقَل ويضعونها في الارض وضعاً افقيّاً على احد جانبي الخطوط·ثم يغطونها بنحو اربعة قراريط من الطين ويجعلون مسافة البعد بين كل عقلة واخرى نصف متر على الاقل لسهولة سير المياه وسرعة جريانهِ فيما بعد عند السقي وخصوصاً مجرى الهواء ونفوذ الضوء والحرارة ولا يخفى ما في ذلك من الفوائد ويجب على المزارعين ان يعطوا هذا الامر حق الملاحظة والانتباه· وعند نموّ الزريعة وحصولها على ما يقارب قدماً الى قدمين من الارتفاع يُحفر حولها ثم يُفصل عنها جميع الفروع الضئيلة بحيث لا يُترك في حفرة الفسيلة الواحدة اكثر من ثلاثة ازرار جيدة صالحة ويعاد حفر الارض بعد ذلك بشهر واحد تقريباً ويُفرز عنها جميع النباتات والحشائش الغريبة ثم يوزعون على الحفر المقدار المناسب من السماد

ويتمّ نضج قصب السكر في اول فصل الشتاء وقد يكون قبل ذلك بشهر واحد ويكون النبات قد بلغ اذ ذاك من متر ونصف الى مترين ارتفاعاً ويزيد على ذلك في في الاراضي الجيدة الخصبة فيحصل ارتفاعهُ ثلاثة امتار ويبلغ عدد عقدهِ الى ١٨ عقدة ويكون سكرهُ اشدّ حلاوة· واذا أُهمل قطعهُ في وقت نضجهِ فقدَ قسماً من سكرهِ ومثلهُ اذا تُرك زمناً طويلاً قبل العصير· وهم يتركون جذورهُ في ارضها فتبقى حتى اذا وافى زمن الزراعة نبتت فتعاد اليها الخدمة اللازمة ويستثمر المزارعون جذور قصبه على مدة ثلاث سنين في الاراضي الجيدة الخصبة غير ان محصولهُ في السنة الاخيرة يكون اقل فائدة مما تقدَّمها:

ويفاجئ زراعة هذا النبات في بعض الديار آفة الدودة وهي المعروفة عند العامة بالسوس· قال الدكتور فيجري بك بهذا الصدد في كتابهِ علم البراعة في حسن الزراعة ما يأتي بحرفهِ:

ويُعرف نضجهُ (قصب السكر) باوراقهِ التي تصير صفراء· وبنموّ دودة تكون في باطنهِ وهذه الدودة تنسب الى فراش ليلي يُسمى نوكتوا (noctua) فتكوّن هذه الدودة ناصوراً في طول العود من اعلى الى اسفل فيتلف محلهُ ويتلوَّن باللون الاحمر الدموي واحياناً ينتشر هذا الناصور في جميع طول العود فيصير ذا طعم حامض ورائحة كريهة· ومن فضل الله سبحانهُ وتعالى ان هذه

الدودة لا تصيب قصب السكر الا زمن نضجهِ ولا تنتشر على نباتات عديدة منهُ .وحينئذٍ ينبغي الاسراع بقطع القصب من الارض لئلا يصاب جميعهُ بهذا المرض

٤ً استحضار السكر وزمن استعمالهِ

يُقال ان استحضار السكَّر قد نشأ اولًا في الهند غير ان المادة السكرية كانت معروفة لدى الصينيين قبل زهاء الف سنة قبل التاريخ المسيحي . وقد ظلَّ السكر اجيالًا عديدة مجهولًا من عالم اوربَّة وما كانوا يستعملونهُ لغير العلاج وكان نادرًا جدًّا عندهم يُروى انهُ كان يباع في فرنسة في زمن حكم هنريكوس الرابع بالاوقية . وما كان يستجابهُ اذ ذاك سوى بائعي العقاقير والادوية الطبيَّة . وكان يدعى عندهم بالملح الهندي (sel indien) : وفي عام ١٦٠٥ استدلَّ الفرنساوي اوليفيه دي سير (Olivier de Serres) على وجود المادة السكرية في البنجر (betterave) ثم تبعهُ بعد ذلك في هذا البحث الكيماوي العلامة ماركراف (Margraff) الالماني وفي عام ١٧٩٩ عرض الكيماوي اشارد (Achard) على انظار ملك بروسية في برلين مبتكرات مصنوعاته من السكر . وقد اهتمَّ ايضًا بعد ذلك كثيرون من ارباب العلم بصناعة استخراج السكر من البنجر

وفي عام ١٨١٠ منع بونابرت دخول سكر القصب الى اوربَّة فضعف بذلك شأن هذه الزراعة النافعة لكنَّ سقوط نابوليون اعاد لهذه السوق رواجها بعد كسادهِ

ويتحصل من القصب كميَّة كبيرة من السكر تزيد كثيرًا على ما يستخرج من البنجر فهم يعدلون من ٧٥ الى ٨٠ قيمة المتحصَّل من قصب السكر من المادة السكرية وقد لا يتحصل ٧ بالمائة من البنجر . اما تحضير السكر وعصره وكيفيَّة تكريره الى غير ذلك فلهُ عمل خاص ووصف يستغرق مقالة مطولة تخرجنا عن جادة الموضوع الذي نحن في صددهِ . فندعه لفرصة أُخرى

٥ً فوائد قصب السكر

ان الفوائد العائدة من زراعة قصب السكر كثيرة ومنافعهُ جليلة اهمها السكر المستخرج من عصارتهِ فيُبنى على هذه المادة السكرية عمل خطير يقوم بجهاز اكثر الاطعمة ومنهُ غذاء مفيد للصحة والاجسام . ويستخرج من قصب السكر مشروب روحي يسمونهُ الروم (rhum) ويستعملونهُ في الصنائع والفنون ونحوها . ويتحصل من بقايا

عيدان قصب السكر نوع من الاسبرتو وهو من احسن الاجناس . ويصنع اهل صعيد مصر عسلًا يستخرجونهُ من عصارة القصب يشابه عسل النحل بحلاوتهِ وشكلهِ ويصدرون منهُ كثيرًا ضمن زلع الفخار ويباع منهُ في عموم القرى والجهات ويسمونهُ بعسل القصب . امَّا فوائد السكَّر فمتعدّدة يخرجنا ايضاحها عمَّا تحرَّينا وصفهُ . وكذلك انواعهُ كثيرة منها سكر النبات وهو النقي المتبلور ويُلوَّن باللون الازرق احيانًا بمنقوع زهر البنفسج ثم السكر المحرق وهو الذي قد اثَّر فيهِ فعل الحرارة والسكر المكرَّر وهو الخام الذي قد جُرّد من المواد الغريبة . وجميع هذه الانواع تستعمل ملطفة صدرية ومصلحة لطعم الادوية وغير ذلك ممَّا لا حاجة الى الاتساع فيهِ وفي ما قلنا كفاية لبيان اهميَّة زراعة قصب السكَّر وما يترتب عليهِ من الارباح الطائلة لاسيما في سواحل بحر الشام التي توافق تربتها هذا الصنف وتجود فيها على غاية ما يُرام

الآداب العربيَّة في القرن التاسع عشر

بحث تاريخي وانتقادي للاب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع)

وقد خلَّف لنا آثارًا ادبيَّة اوسع من السابقين رجلٌ سبقت لنا ترجمتهُ واطراء فضلهِ في باب التاريخ (ص ٤٧٠) نيقولا الترك فانَّ طول باعهِ في الاداب ليس دونهُ في التاريخ ولدينا من نظمهِ الرائق ونثره المسجع الفائق ما يشهد لهُ بالتقدُّم بين آل عصره . وفي مكتبتنا الشرقيَّة نسختان من ديوانهِ تنيف النسخة على ٤٠٠ صفحة ترى فيها كل مضامين الكتابة في الرثاء والمدح والوصف والمزح . وقد عارض اصحاب المقامات فوضع منها احدى عشرة مقامة نسبها الى راوٍ دعاهُ الحازم ومسفار فكه سمَّاهُ ابا النوادر . وفي كتابنا علم الادب (١ : ٢٧٨) مقامة منها وهي الاولى المدعوَّة بالديريَّة نسبةً الى دير القمر قدَّمها المؤلف للامير بشير واودعها من حسن التعبير وبديع اللفظ وبليغ المعاني ما يدلُّ على براعتهِ في فنون الانشاء . امَّا شعرهُ فمنسجم سهل المأخذ مطابق لمقتضى الحال مع كثرة التفنّن في النعوت والاوصاف وفيهِ مع ذلك بعض الضعف اذ نبغ في الشعر بجودة قريحتهِ دون الدرس على استاذ يلقنهُ ومعلّم يرشدهُ . وها نحن نثبت هنا شيئًا من

شعرهِ لافادة القرَّاء وتنويهاً بحسن صفاتهِ فمن ذلك قولهُ في مدح الامير بشير وهي اول قصيدة قالها فيهِ:

دنا البشرُ الحميد المستطابُ واشرق في معاليهِ الشهابُ
وتمَّ لنا المنا بمزيد أمن بهِ زال العنا والاضطرابُ

الى ان قال:

عزيمتهُ الوفية في الوغا كم بافئدة العدا منها ارتعاب
وكم رنَّت سامعها ارتعاشاً اذا ما رنَّ في يدهِ القضابُ
مَهاب متين همتهِ البلايا ويخشى صوت صولتهِ المصابُ
وترتعد الحوادث منهُ خوفاً ويعلو الهول منهُ الارتعابُ
لهُ في المشكلات حميد رأي وحزمٍ لم يزغ عنهُ الصوابُ
يلي الهيجاء في عزمٍ شديدٍ لديهِ لانت الصمُّ الصلابُ
كماةُ الحرب عند لقاهُ فرَّت كما فرَّت من الليث الذبابُ
وان خفقت بنور سطاه صاحت غشا الضرغام وانقضَّ العقابُ
يُبدِّد شملها منهُ ويفنى كما يفنى من الشمس الضبابُ
ملاذٌ مقصدٌ حصنٌ منيعٌ رجاهُ لا يُردُّ ولا يخابُ
اذلَّ الله اعداهُ لديهِ وقد خضعت لعزتهِ الرقابُ

ولهُ ايضاً فيهِ من قصيدة قالها بعد واقعة حربٍ:

سواك الى المعالي ليس يدعى لانَّ الله احسن فيك بِدعا
وزانك بالمزايا يا حميداً بهِ الدهر ارتقى واختار قنعا
اميرٌ لا امير سواه يرجى مليك كامل خلقاً وطبعا
بشير خوَّل الدنيا بشراً بهِ طاب الورى قلباً وسمعا
شهاب اوعب الآفاق نوراً على نور الثريَّا فاق سطعا
اذا اعددتهُ يوماً بفردٍ من الافراد كنت تراه سبعا
ندى كفّيهِ حلَّ عن انكفافٍ كانَّ الله اجرى فيهِ نبعا
فما الفضل ابن يحيى وابن طيٍّ وهل معنًى لمعنٍ بعدُ يدعى
بصارم عدلهِ كم بتَّ جوراً واحيا لانتصار الحقِّ شرعا

وقال مهنئاً قدس السيد اغناطيوس قطَّان بارتقائهِ الى السدَّة البطريركيَّة سنة ١٨١٦ وكان اسمهُ اولاً القس موسى:

خوَّلتَ يا فخر البطاركة الهنا للشعب ثمَّ حسمتَ كلَّ تراعِ
لمَّا ارتقيتَ لسدَّةٍ بك شرِّفت يا كامل الاوصاف والاوضاعِ

وأنتَ يا قطَّانُ قُطانِ الديا   رِ وفيك باهت سائرَ الاصقاعِ
يا حبر احبار البلاد وسيِّدًا   ابدًا لهُ عينُ الاله تراعي
وبك استضاء الكرسيُّ لمَّا ان وفى   حسن الدعا لله والاضراعِ
لبَّاه بالانصاح ارَّختُ الهدى   موسى لشعب الله افضل راعِ

ومن رثائهِ ما قالهُ في الشهيد بطرس مرَّاش سنة ١٨١٨ لمَّا قُتِل في حلب بسعي جراسيموس الدخيل مع غيره من الكاثوليك:

كم يشتكي قلبي الموجَع كلَّما   قد مضَّهُ الهمُّ الذي قد كلَّما
بل كلما تراني عند ما يشتدُّ بي   حرُّ الجوى اهمى المدامع عَندما
ما حسرة الثكلاء ما الخنساء مذ   كانت تئنُّ توجعًا وتألُّما
تبكي نعم لكن على صخر الفلا   وانا على صخر العُلى ابكي دما
وافجعتاهُ بهِ ويا اسفي على   ذاك الشباب الغضّ كيف تهشَّما
شُلَّت يدُ الباغي الذي قد اهرقت   دمهُ الزكي وحلَّلت ما حُرِّما
حيَّاهُ من شهم شجاعٍ باسل   بطل الى القتل المريع تقدَّما
بذل الحياةَ الدنيويَّة بالبقا   واختار مجدًا سرمديًا دوَّما
لله فجعة بطرس كم فتَّتت   كبدي وألقت في فؤادي اسهما
لله فرقةُ بطرسٍ كم اوحشت   تلك الربوع واظلمت ذاك الحما
لله لوعة بطرسٍ كم أجَّجت   في مهجتي الحرَّاء جمرًا مضرمًا
يا حيلتي ما طاقتي فنيت وها   جلَدي وهاك الصبر مني مُعدما
طوباه اذ من بعد اصلح سيرةٍ   ومناقبٍ منذ الصبا فيها نما
وافى الى سفك الدما بشهامةٍ   وغدي المنايا مسرعًا متقحما
وانضمَّ منحازًا مع الشهداء في   جنَّات خلدٍ بالسماء منعَّما
يا طيب مثوًى ضمَّ طاهر جسمهِ   يا فوز من وافى اليهِ مسلِّما
فلذاك قلتُ صلوهُ تمجيدًا بتا   ريخي ففي دمهِ الزكي ورث السما

وهي طويلة. ومن نظمهِ ما قال يهجو بعض القوالين الذين يسرقون ابياتًا وقصائد قديمة وينسبوها لهم :

اصبح الشعر كالشعير مقامًا   لا بل الشعر منهُ ارخص قيمه
غُرَّ من قد غدا بهذا الدهر ينفي   حقَّ ما فيهِ من لآلٍ نظيمه
حيثما قد غدت بنو الخلط تنشا   فيهِ بئس المؤلفات الذميمه
ويحهم كيف جوَّزوا واباحوا   هتك ما فيهِ من عروضٍ سليمه
يا لهم من فواجرٍ بغباهم   والخطا غوَّروا البحور العظيمه
نقضوا كل كاملٍ موزونٍ   ذي احتكام وعوَّجوا مستقيمه

افسدوا جوهر البسيط وفيهِ ركَّبوا اقبح الصفات الذميمهْ
قلَّ ان يُنقذ الخفيفَ فرارٌ منهم او تقي السريعَ هزيمه
ضعضعوا الوافر المديد وامست بينهم حالة الطويل مشومه
كلهم كالذئاب قوم لصوص يستحلّون سرقة محرومه
قاتل الله مثلهم من يسطو باقتدار على البيوت القديمه
كم جسم ابكمٌ يقلّد قسًّا فيهِ قد كانت الفصاحة شيمه
بل وكم بينهم ترى هذارًا فاتمًا شدقهُ كشدق بهيمه
حرفة الشعر يا عبادُ توفّت فاسكبوا فوقها الدموع الحميمه
رحمة الله والسلامُ عليها حيث راحت من البنين عقيمه
يدّعون التقول فيها التبنّي وهي فيما ادَّعوا بهِ متهومه
عظمها في التراب ما زال يشدو يعلم الله انّي مظلومه

ومن موشحاتهِ ما قالهُ في مدينة طرابلس ومدح اهلها:

بأبي عهدُ التهاني والصفا زمنٌ مرَّ بطَرَبُلُسِ
يا هنا عيش رغيدٍ سلفا لي بذاك المعلم المؤتَنَسِ

دور

حبَّذا الفيحاء اهنا كل نادْ والحمى المعمور والركن الحصينْ
كتب السعدُ عليها يا عبادْ ادخلوها بسلام آمنينْ
بلدةٌ طيبةٌ خير البلادْ والمقام المشتهى للناظرين
اهلها قوم لطاف ظرفا نعم امجادٍ كرام الانفسِ
ما لهم عيبٌ سوى حسن الوفا والخلوص المتنأى عن دنسِ

دور

حيِّ يا ريحَ الصبا ذاك الكثيبْ بضواحيهِ وذيّاك المقامْ
وعلى كلّ محبٍّ وحبيبْ اتلُ عني يا صبا الف سلامْ
واذا جزتِ بواديهِ الخصيبْ بلغي شوقي لساداتي الكرامْ
خبّريهم انَّ جفني قد جفا بعدهم لذّات طيب النعسِ
وفؤادي راح يشكو الكلفا من همومٍ حتّى قبضِ النفسِ

وهو موشَّح طويل. وممَّا امتاز بهِ الترك مداعباتهُ واقوالهُ الفكاهيَّة. فمن ذلك ما رويناهُ لهُ في كتابنا علم الادب (١: ٢٤٩) مناظرة بين الزيت واللحم. ومنها قولهُ يطلب من الامير بشير شروالًا وعمامة:

وشروالٍ شكا عتقًا وامسى براودني التاق فما خلقتُ
وكم قد قال لي بالله قِلْني وهَبْني كنت عبدًا وانطلقتُ

اما تدري باني صرتُ هرماً　وزاد عليَّ اني قد فنقتُ
فدَعني حيث قلَّ النفع مني　وعاد من المحال ولو رُتقتُ
ولا تعبأ بتقلبي لانّي　بعمر ابيك نوح قد لحقتُ
ولم يبرح يجدّد كل يوم　عليَّ النعي حتّى قد قلقتُ
وقلت لهُ عُتقت اليوم مني　لانّي في سواك قد اعتلقتُ
فأشعرت العمامة في مقالي　لهُ فاستحسنت ما قد نطقتُ
فراحت وهي تشدو فوق رأسي　لي البشرى إذن وانا عُتِقتُ

وممَّا نُقش من شعره في معاهد بيت الدين التي ابتناها الامير بشير قولهُ وهو مرقوم فوق باب احدى القاعات:

دارُ المعالي التي فاقت مفاخرها　والعزُّ قد زادها حسناً وجمَّلها
تزينت في معاني الظرف واكتملت　بقاعةٍ ارَّخوها لا نظير لها

وكتب على دائرها هذه الابيات استغاثة الى العزَّة الالهيَّة على لسان الامير:

اللهُ الله انت الواحدُ الاحدُ　والسرمدُ الازليُّ الدائمُ الصمدُ
حيٌّ عزيزٌ قديرٌ خالقٌ ولهُ　من في السماء ومن في ارضنا سُجُدُ
لا ربَّ غيرك يا مولايَ نعبدهُ　ولا سواك الهًا فيهِ نعتقدُ
انت الغنا والمُنا والفوزُ اجمعهُ　والعونُ والغوثُ والانجاءُ والمددُ
ما لي سواك غياثٌ لي اطالبهُ　كلَّا وغيرك ما لي في الورى سندُ
خوّلتني يا الهي خير تسمية　فكنت فيك بشيرًا انت لي عضدُ
فالقلبُ والروح كلٌّ فيك مشهدهُ　والفكرُ والقلبُ والاحشاء والكبدُ
بل كل جارحةٍ مني وعاطفةٍ　تصبو اليك ونار الحبّ تتّقدُ
اذ انت علّة نفسي انت مركزها　يا رب كلٍ ومنهُ الخلق قد وُجدوا
يا ربّ امنن بعفوٍ منك لي كرمًا　واغفر جنايات عبد منك يرتعد
وجُد بحاجتهِ يا رب يبقيها　ذاك النعيم السعيد الثابت الوطدُ

هذا ولو شئنا لاتسعنا في ذكر منظومات نيقولا الترك وانما نجتزئ بهذا القليل وفيه كفاية لتعريف طريقة ذلك الشاعر الذي كان من اعظم السُعاة في النهضة الادبيَّة في مبادئ القرن التاسع عشر وديوانهُ يستحقُّ الطبع لان صاحبهُ الاديب نظمهُ في وقت كسدت فيهِ تجارة الاداب فيشفع في ضعف بعض اقوامهِ الكثيرُ من محاسنهِ

وممن نلحقهم بهولاء الشعراء بعض من معاصريهم النصارى ابقوا لنا آثارًا من فضلهم وهي تآليف ومصنفات ادبيَّة غير الشعر واولهم جرمانوس آدم الحلبي الذي لعب دورًا مهمًا في تاريخ زمانهِ. ولد في حلب في اواسط القرن الثامن عشر ونشأ فيها

ثم تخرج في الآداب الكنسيَّة والعلوم الدينيَّة والمعارف الدنيويَّة في رومية العظمى حتى اصاب منها قسماً صالحاً . وقد عُهدت اليهِ لمقدرتهِ عدَّة مهمَّات قام بها قياماً حسناً وتولى القضاء مدَّةً في لبنان ولهُ تآليف متعددة تشهد لهُ بقوة الفهم واتساع المعارف واكثرها دينية منها كتاب ايضاح اعتقاد الآباء القديسين في الحاد المشاقين وهو سفرٌ كبير وايضاح البراهين اليقينيَّة على حقيقة الامانة الارثذكسيَّة وكتاب الجامع الكباسوطيوس (Cabassut) ولهُ تآليف اخرى شطَّ فيها عن تعليم الكنيسة الكاثوليكيَّة لكنَّهُ رذلها قبل وفاتهِ . وتوفي في زوق ميكائيل في ١٠ ت ٢ سنة ١٨٠٩

وفي عهدهِ عُرف راهب من ملَّتهِ الروم الكاثوليك وعاش بعدهُ ردحاً من الدهر اعني بهِ سابا بن نقولا الكاتب الشهير بالخوري سابا . كان مولدهُ في حمص وكان ابوهُ من الروم الارثذكس وأُمه كاثوليكيَّة فنشأ على دين والدهِ مدَّةً ثم اهمل نفسهُ للاذ الدنيا حتى ارعوى وارتدَّ الى الله بعد ان رأى عيشة الرهبان الكاثوليك في دير المخلّص فتبعهم في دينهم ثم في طريقتهم النسكيَّة واخذ العلوم العربيَّة عن الشيخين يوسف الحر من علماء جباع واحمد البزري . وبعد كهنوتهِ سافر الى رومية حيث اتقن العلوم الفلسفيَّة واللاهوتيَّة وتعلَّم اللغات الاوربيَّة ثم رجع الى الشرق وانكبَّ على الاعمال الخيريَّة الَّا انَّ الامراض دهمتهُ فاحوجتهُ الى لزوم ديرهِ فانقطع الى التأليف وصنَّف كتباً عديدة في اخصّ المعتقدات المسيحية اكثرها لا يزال مخطوطاً طبع منها شيئاً الاديب شاكر افندي البتاوني . ولهُ مصنَّفات اخرى في معظم الابحاث الفلسفيَّة منها رسائل في النفس وجوهرها وخواصها . ومنها كتاب في المنطق نُشر بالطبع وغير ذلك مما عدَّدهُ صاحب تاريخ الروم الملكيين (ص ٧٨–٧٩) ورُقّي الى رئاسة رهبانيَّتهِ العامَّة نحو تسع سنوات وكانت وفاتهُ في ايلول من السنة ١٨٢٧ (لهُ بقيَّة)

مطبوعات شرقية جديدة

William Ewing, M. A.: Arab and Druze at home,—A record of travel and intercourse with the peoples east of the Jordan. *London: Jack*, 1907. pp. 180.

رحلةٌ الى بلاد الدروز واهل الوبر القاطنين شرقي الاردن

هذا عنوان كتاب وضعهُ السير وليام ايوين وضمَّنهُ اخبار رحلتهِ من دمشق الى

حوران فالبادية فنواحي الاردن وقد وصف فيهِ بعض ما عاينهُ من الحوادث والمشاهد واطلع عليهِ من عادات سكان تلك الاصقاع في معيشتهم وقراهم للاجانب وزيّنهُ بخارطة للامصار التي اجتاز فيها وبواحد وثلاثين رسماً اتخذ معظمها بآلة التصوير. وكان بوسع السير وليام ان يتقصّى المواد التي كتب عنها ويدقق بها النظر ليكون تأليفهُ مرجعاً للعلماء يقبلون عليهِ فيقتبسون من فوائدهِ لانهُ حطّ رحالهُ خمس سنوات في طبرية لكنهُ آثر ان يتحفنا بكتاب اقرب للفكاهة منه للعلم الصادق. ومهما كان الامر فاننا نقدّر هديتهُ حقّ قدرها ونسدي الى حضرتهِ الشكر الحميم ي. خ.

P. Girolamo Golubovich O. F. M.: Biblioteca Bio-bibliografica della Terra Santa e dell'Oriente Francescano: T. I. 1215-1300. *Leipzig*, . *Harrassowitz*. Gr. 8°, VIII-480 p., 1906.

المكتبة الفرنسية لرهبان الاراضي المقدسة

ليس لرهبانيّة غربيّة علاقات مع المشرق كالرهبانيّة الفرنسيسيّة فانّ منشئها سكن الشرق مدّةً . ثم عهد الكرسي الرسولي لابنائهِ حفظ الاراضي المقدّسة. ومذ ذلك الحين قد مرّ في هذه البلاد الوف من الفرنسيسيين وهم يصطنعون الخير. وكان العلماء يودّون ان يجمع احد آثار اولئك الافاضل فيروي من اخبارهم جيلًا بعد جيل ما يُعرف منها مع الدلالة على المصادر المأخوذة عنها وفقاً للمبادئ العلميّة . وهذا العمل الجليل قد اراد القيام بهِ احد علماء الرهبانيّة المنوّه بها وهو حضرة الاب غولوبوفتش الذي اشتهر سابقاً بمصنّفاتهِ الاثيرة. وها هوذا قد اهدانا الجزء الاوّل من تأليفهِ الجديد الذي يشمل اعمال الفرنسيسيين في الشرق منذ السنة ١٢١٥ الى السنة ١٣٠٠ مباشرة بآثر القديس فرنسيس يليها ذكر الديورة الاولى التي انشئت من بعدهِ في سوريّة كالقدس الشريف وعكّة وصور وصيداء وبيروت وطرابلس وحلب . وكانت هذه الديورة داخلة في حيّز اقليم يُعرف باقليم الاراضي المقدّسة او اقليم ما وراء البحر. وفي السنة ١٢٤٦ قدم على الموارنة اوّل قاصد رسولي من الرهبانيّة ذاتها (ص ٢١٥) ثم تبعهُ في منصبهِ غيرهُ كثيرون الى عهد الراهب فرا غريفون الذي سطّرنا في المشرق ترجمتهُ . هذا ولا يسعنا هنا ان نعدّد كل الرجال العظام الذين نوّه بذكرهم حضرة المؤلف في اثناء القرن الثالث عشر فنحيل القرّاء الى مراجعة كتابهِ حيث يجدون عدداً دثراً من

المعلومات الخطيرة التي جمعها من موارد شتى وانتقد صحّتها وكلها تفيد عن الشرق الفوائد الجمّة. وقد اعجبتنا طريقتهُ في ترتيب هذه الآثار وانتقادها وبيان غثها من سمينها. ومما لحظناهُ من الاغلاط الطفيفة كتابتهُ للشوبك (Sobal) (ص ١٨٣ حاشية ١) وكتابتهُ للسويدية عند مصبّ العاصي (Portus Sudi) والصواب (Sudin) (ص ١٨٣ حاشية ٢) هذا وانّنا نستصوب قول الكاتب جاك دي ڤتري (ص ٦٦ حاشية ٣) في اشتقاق اسم الجبل الاسود (امانوس) المجاور لانطاكية. وكان يجدر بالمؤلف ان يضيف دفعاً للالتباس الى اسم القديس سمعان العموديّ لقب «الصغير» وهو القديس الذي بسببهِ عُرف هذا الجبل بالعجيب. امّا القديس سمعان العموديّ الكبير فانّ مقامهُ كان بين انطاكية وحلب — وكذلك نظنّ ان المقصود في الصفحة ٣٦٨ باسم (Mom-minas) هم الموارنة وقد تصحّف الاسم بسوء رواية النسّاخ ه. ل

الانسان ابن التربية

بقلم الاديب جرجي افندي نقولا باز (١٩٠٧ ص ١٠٠)

انّ من يطالع هذا الكتاب لا يلبث ان يتحقّق سلامة نيّة كاتبهِ ورغبتهُ في تنشيط النشوء الحسن وسعيهُ في بيان مضارّ التربية الرديئة. نعم انّنا نسلّم لهُ بكل طيب قلب بانّ الانسان ابن التربية كما عنون تأليفهُ. الّا انّ المنتقد يتبيّن ايضاً في مطالعة الكتاب انّ صاحبهُ في الانشاء وبسط الكلام اقدر منهُ في المبادئ الفلسفيّة الراهنة فتراهُ يطرئ التربية الحسنة ويتّسع في ذكر الحاجة اليها ويعدّد منافعها الّا انهُ يخلط في كل هذه الاقوال ما ينقض شيئاً من مزاعمهِ او يضعفها بما لا علاقة لهُ مع التربية. ولو تتبّعنا فصلًا فصلًا هذا الكتاب لوجدنا شواهد على حكمنا هذا. واوّل ما ينتظر القارئ ايضاحهُ تعريف المؤلف للتربية الحسنية وماذا يريد بها ليبني كلامهُ على اساس متين ولئلّا يذهب كلامهُ سدًى كضاربٍ في هواء او حاطبٍ في ليل يصيب مرّةً ويخطئ اخرى. وقد آثر على تعريف التربية ان يفتتح كلامهُ بفصلٍ عموميّ في الانسان خلطهُ بامور صحيحة وآراء واهنة فمن ذلك قولهُ (ص ٨) «انّ الانسان ميّال بالطبع الى الفضيلة» وهو قول يحتاج الى بيّنة فانّ مثل العرب يقول انّ «النفس امّارة بالسوء» وتزيّف الاسفار المقدّسة هذا الزعم بنصوص عديدة اوّلها ما جاء في سفر التكوين

(٨ : ٢١) حيث قال الله بعد الطوفان : « لا أعيد لعن الارض بسبب الانسان بما انَّ تصوُّر قلب الانسان شرّير منذ حداثتهِ » ومثل هذا كثير في الكتاب المقدَّس يؤيّدهُ الاختبار اليومي وليس فعل التربية الصالحة الَّا ان تقوّم في الانسان هذه الاميال المنحرفة . ثم ألحق هذا بفصل آخر « في محاسن العصر » فخرج عن موضوعهِ اذ رفع الى الثريَّا الاكتشافات الحديثة وعدَّد بعض المشاهير الذين على زعمهِ توصَّلوا الى هذه الاكتشافات بحسن تربيتهم . ونظم في جملتهم « روسو » الذي انتحر واهمل اولادهُ مع اللقطاء . فنعم المثل لحسن التربية ! وكما انَّ الكاتب لم يحسن تعريف التربية كذلك تراهُ متحيّرًا متردّدًا في بيان الوسائل التي يجب الالتجاء اليها لنوال التربية الحسنة سواء كان في بيت والديه او في المدرسة وبعد خروجهِ منها . وقد جعل العلم من اركان التربية دون افراز بين علم وعلم . وكذلك اهمل اكبر عوامل التربية الحسنة وهو روح الدين الذي لا يكاد يأتي بذكرهِ . ولنا ملحوظات اخرى متعددة على هذا الكتاب لا يمكنَّا ايضاحها الَّا بمقالات مطوَّلة نرصدها لهذه الغاية ان شاء الله ل . ش

شذرات

استدراك — اثبتنا في العدد السابق (٦٠٦) قصيدة جميلة وجدناها في مخطوط قديم مرويَّة للامام الغزَّالي . ثم افادنا من طرابلس الشام جناب الكاتب البارع حكمت افندي شريف بان هذا الاثر قد ورد في الطبعة الحجريَّة من كتاب محاضرة الابرار ومسامرة الاخيار للسيّد الامام محيي الدين العربي . فراجعنا هذا الكتاب (١ : ١٣٩) الذي منهُ في خزانة كتبنا نسخة خطيَّة واذا بالقصيدة هناك تروى لشيخ يُدعى ابا الحسن علي المسفر لهُ مصنَّفات كمنهاج العابدين وكتاب النفخ والتسوية وكلاهما يُنسب للغزَّالي كما لا يخفى . ثم روى القصيدة التي نشرناها للشيخ المسفر وبين الروايتين بعض اختلافات لكنَّ روايتنا اوسع واضبط في الاجمال تزيد على رواية ابن الاعرابي ثلاثة ابيات . وها نحن نثبت الابيات الزائدة او المختلفة في رواية ابن الاعرابي تابعين لسياق روايتنا مع ابداء الشكر لجناب المراسل الذي ارشدنا الى هذه الرواية :

اتظنُّون بأني ميّتكم لستُ ذاك الميت والله انا
انا في الصور وهذا جسدي كان جسمي اذ الفتُ السجنا

انا عصفور وهذا قفصي كان سجني وقميصي زمنا
أشكر الله الذي خلّصني وبنى لي في المعالي رُكُنا
وطعامي وشرابي واحدٌ وهو رمزٌ فافهموه حسنا
هو مشروب رسول الله اذ كان يسري فطرهُ مع فطرنا
فاهدموا البيت ورضّوا قفصي وذروا الكل دفيناً بيننا
وقميصي مزّقوهُ رمماً وذروا الطلم بعدي وثنا
فحياتي وسنٌ في مقلتي خيفة الموت تطير الوسنا
لا ترُعكم هجعة الموت فما هو الّا نقلةٌ من ههنا
عنصرُ الانفس شيء واحدٌ وكذا الجسم جميعاً عمَّنا
وعليكم من سلامي صيّب وسلام الله بدأً وثنا

عود على بدء — كنّا كتبنا لحضرة الاب دي فراجيل ليفيدنا عن رأيهِ في صحّة اكتشاف العلامة الكيموي مواسان للماس الاصطناعي فاجابنا من انكلترة « اني في المقالة التي اثبتها في المشرق (٦ : ١٠٧٣) عن استحضار الماس الصناعي لخّصت ما جرى من الجدال في هذا الصدد بين مواسّان واصحاب مجلّة البشير العلمي (Moniteur scientifique) دون ان ابدي في ذلك رأياً ثم بقي الامر مبهماً الى ان عادت اليهِ المجلّة المذكورة ونشرت ما ينفي صحّة الاكتشاف (المشرق ٨ : ٨٢٠) ولمّا توفّي مواسّان في السنة الجارية عاد العلماء الى ذكر هذا الاكتشاف واكثرهم يقرّرهُ بالفعل وينسبون كتبة المجلة السابق ذكرها الى الاغراض ومماكة مواسان. ونحن لا نأبى ان ننسب الى هذا الكيموي اكتشافهُ ان تحقّق بالاختبار وممّا قرأناهُ في مجلة العلوم العامّة (Rev. Gen. des Sciences, 30 Avril, 1907) ما تعريبهُ وهو لاستاذ كليّة نانسي العلامة گنتز (A. Guntz) قال (ص ٣٠٢) : " ان كان مواسّان قد نال باختباراتهِ بلورات تظهر للناظر كماسات فالحق يقال انّ هذه الاجسام ليست سوى بلّورات غاية في الدقّة » فترى انّ الامر لا يزال مشبوهاً وان شاء الله عمّا قليل تأتينا الاختبارات الجديدة فلا تبقي في الاكتشاف ريباً

أسئلة وأجوبة

س سألنا سيادة المطران الجليل يوسف الدبس الجزيل الاحترام ماذا نعلم من امر القديس

اوتيلوس او اوتل الذي تعيد الطائفة المارونية عيده في ٣ حزيران وعلى اسمهِ كنيسة في قرية كفر سناب.

القديس اوتيلوس او اوتل

ج بحثنا كثيرًا عن ترجمة هذا القديس في السنكسارات الشرقيَّة وسألنا غبطة السيد البطريرك افرام الثاني الرحماني والاب العلامة بترس من جمعيَّة الاباء البولنديين الذين من ٣٠٠ سنة يدرسون اعمال القديسين وينشرونها فكان محصَّل ما جمعنا من المعلومات من كل هذه المصادر: ١ً ان اسم هذا القديس أوتل. أمَّا اوتيلوس او هوتيلوس فرواية الاسم عينهِ على الطريقة اليونانيَّة او اللاتينيَّة — ٢ً ويُنسب الى مجدل ويُقال لهُ مجدليّ (المكتبة الشرقيَّة للسمعاني ٢ : ٢٦٥) اما مجدل فلم يُعرف موقعها. وقد جاء في سنكسار اليعاقبة انهُ كان من مدينة لوقيا (ولوقيا او ليقية بلاد في آسية الصغرى ليست مدينة) — ٣ً يُعيّد لهُ في ٣ حزيران ويذكر ايضاً في سنكسار اليعاقبة في ٩ تشرين الأوَّل. ويظن حضرة الاب بترس انَّ السنكسار البوزنطي صحَّف اسمهُ على صورة «اتاروس» (ἅγιος Ἄτταρος) في احد أيَّام حزيران الاتية ٢ و٥ و٦ و٧ — ٤ً لا نعلم شيئاً عن زمن القديس غير انهُ كان قبل القرن السادس او السابع. لورود اسمهِ في الكلندارات القديمة. — ٥ً امَّا اخبارهُ فهذا ملخَّصها عن السنكسارين المارونيّ واليعقوبيّ. كان ابوا اوتل وثنيين وتنصَّر هو صغيرًا ثم لمَّا اراد والداهُ تزويجهُ هرب الى مدينة موسطا (كذا) ثم الى القسطنطينيَّة بحرًا ولمَّا اراد النوتيَّة ان يستعبدوهُ ويتخذوهُ اسيرًا هاج البحر فكاد الركَّاب يغرقون لولا شفاعة اوتل الذي نصَّرهم وعمَّدهم. ثم جاء في السنكسار اليعقوبي انهُ «بقي عشرين سنة في القسطنطينيَّة الى موت والديهِ فعاد الى وطنهِ وجاء الى سلوقية ثم اتى الى انطاكية ثم بلغ لوقيا وطنهُ فاراد ان يخرج الى البريَّة ليعيش ناسكاً فقصد مار آبا (ولا نعرف من آبا المذكور) لانَّ ديرهُ كان قريباً من لوقيا وترهَّب عندهُ ثم اشتهر بالمعجزات ومن جملة عجائبهِ انهُ ابرأ رجلًا وثنياً مصاباً بآكلة فكان شفاؤهُ سبباً لتنصر عشرة آلاف من الوثنيين. ثم اراد رئيس الدير ان يقيم اوتل رئيساً فهرب اوتل فرارًا من الرئاسة واعتزل في البريَّة وسكن صومعةً الى سنة وفاتهِ وكان معهُ رجل يخدمهُ كان شفاءهُ من لدغ الحية». هذا ما امكنَّا الحصول عليهِ ولعلَّ احد القرَّاء يزيدنا علماً في ذلك ل. ش